رموز الفكر العلماني المعاصر
١٤- نوال السعداوي

العلاقات الإيرانية الإسرائيلية
هل هي "عداء" أم "تعاون في الخفاء" ؟

عبدالله عزام يفضح خيانة
إيران والشيعة للجهاد الأفغاني



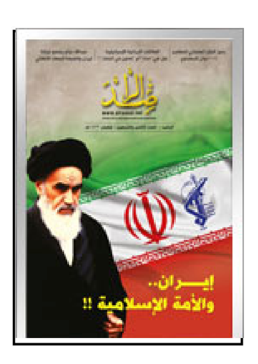
www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد – العدد الثامن والتسعون - شعبان ١٤٣٢هـ

إيــــران..
والأمة الإسلامية !!



www.alrased.net



رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي
تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(الثامن والتسعون)
شعبان - ١٤٣٢ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات





إيران والأمة الإسلامية!!

من المتفق عليه اليوم أن هناك أزمة بين النظام في إيران والمسلمين في كثير من الدول، وهي تتفاوت في حجمها وعمقها وموضوعها وتاريخها من بلد إلى بلد.

* ففي إيران نفسها هناك أزمة بين النظام والإصلاحيين وفريق من المحافظين وكثير من أبناء العرقيات وجميع أهل السنة!

* وفي العراق هناك قطاعات شيعية دينية وعلمانية علاقتها بإيران متوترة، وكثير من أهل السنة يعلنون عداءهم لسياسات ونفوذ إيران الضار بالعراق وبهم.

* وفي غالب دول الخليج هناك توتر عالي المستوى تجاه تصرفات إيران وأطماعها ونواياها.

* وفي سوريا هناك تنديد بالدعم الإيراني للإبادة التي يقوم بها نظام بشار، وقبل ذلك كان هناك تخوف من مشروع التمدد الشيعي في سوريا.

* وفي لبنان يراقب العالم كله بحذر محاولة خطف لبنان وإخفائها تحت عباءة الفقيه الإيراني.

* وفي الأردن وفلسطين محاولات اختراق لكسب المتعاطفين والمنخدعين بالشعارات البراقة للمقاومة والممانعة.

* وفي مصر هناك رفض لتصريحات إيران والمرشد التي تحاول سرقة ثورة الشعب المصري وجعلها رجع صدى لثورة الخميني !!

* وفي دول المغرب العربي هناك صرخات تحذير من مشاريع تغلغل وتسلل للنفوذ الإيراني تحت عناوين مختلفة.

* وفي جزر القمر جرت سرقة الحكم من خلال تجاوز الدستور والتزوير للانتخابات.

* وفي دول أفريقيا هناك صراع مكتوم لتثبيت السيطرة الإيرانية وبث التشيع من خلال المال والجاليات اللبنانية الشيعية هناك.

* وفي دول آسيا هناك نشاط محموم لكسب الشباب والفتيات للولاء للمرشد.

* وفي أفغانستان مخططات تجري علناً للاحتفاظ بجزء كبير من الكعكة الأفغانية التي تعاونت إيران مع «الشيطان الأكبر» على سرقتها.

* وبين الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا جهود مكثفة للسيطرة على الجالية وتسخيرها لخدمة الأجندة الإيرانية.

وهذه الأزمات المتعددة وصلت لحد طرد السفير في المغرب، وتدخل قوات درع الجزيرة في البحرين، والقبض على جاسوس في القاهرة، ومظاهرات لإقالة رئيس الحكومة بالكويت ، والتصريح الواضح في المظاهرات في العراق بأن تكف إيران عن مشاركة أمريكا في احتلال العراق والتدخل في شؤونه. وسبب هذه الأزمات الكثيرة والمتكررة أن السياسات الإيرانية تتميز بأمرين مهمين:

١ – تحقيق المصالح الذاتية لها انطلاقاً من رؤيتها الشيعية والقومية الفارسية بغض النظر عن الشعارات والوعود التي تطلقها، مثل نصرة المستضعفين، ومحاربة الشيطان الأكبر، وتحقيق العدالة، ودعم المقاومة...

٢ – أن هذه المصالح الإيرانية الذاتية تتصادم مع المصالح

الإسلامية العليا !!

ولو حاولنا استعراض أمثلة تبرهن على تقدم هذه المصالح على الشعارات في السياسة الإيرانية نجد ما يلي:

- قتل الخميني لمعارضيه وحلفائه في الثورة، خلافاً للعدالة والمشاركة.
- ظلم الخميني للأقليات العرقية والمذهبية في إيران، خلافاً لتحرير الشعب الإيراني.
- رفض الخميني المتكرر لوقف الحرب مع العراق، خلافاً للشريعة الإسلامية.
- استمرار الخميني في تبني مظالم النظام الشاهنشاهي مثل احتلال دولة الأحواز العربية، والجزر الإماراتية الثلاث، خلافاً لنصرة المستضعفين.
- تصدير الثورة والإرهاب للدول المجاورة، كالتفجيرات في مكة ومحاولة اغتيال أمير الكويت السابق، خلافاً للشريعة وحرمة الحرم، والوحدة الإسلامية وحسن الجوار.
- استنكاف إيران عن دعم الجهاد الأفغاني ضد الروس، خلافاً لنصرة المجاهدين والمقاومة.
- تأييد مجازر حافظ الأسد في مدينة حماة، خلافاً لمحاربة العلمانية والبعث!!
- استيراد السلاح من إسرائيل وأمريكا لحرب العراق، خلافاً لمعاداة الشيطان الأكبر.
- السكوت عن جرائم حركة أمل الشيعية بحق الفلسطينيين في لبنان، خلافاً لنصرة المستضعفين.
- المساهمة في احتلال أفغانستان والعراق، خلافاً للوحدة الإسلامية ومعاداة الشيطان الأكبر.
- تأييد الحرب الطائفية في العراق ودعم الميلشيات الشيعية، خلافاً للوحدة والتقريب بين المذاهب بعد احتلال أمريكا للعراق ٢٠٠٣
- نشر التشيع في أوساط السنة في الدول العربية والإسلامية، خلافاً للوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب.
- دعم تمرد الحوثيين في اليمن، خلافاً للتعاون وحسن الجوار.
- مناصرة الحكومة المسيحية في أذربيجان ضد مواطنيها الشيعة، خشية تنامى قوة الأذريين الشيعة مقابل الشيعة الفرس، خلافاً للوحدة الإسلامية ونصرة المستضعفين.
- القمع والبطش بالمعارضة الإيرانية الشيعية في الداخل، خلافاً للعدل والرحمة وتطبيق الشريعة.
- تحريض شيعة البحرين على إسقاط النظام، خلافاً للوحدة الإسلامية وحسن الجوار.
- تأييد الوحشية والإبادة بحق ثورة الشعب السوري من قبل نظام البعث السوري، خلافاً لنصرة المستضعفين.

وهذه المواقف هي غيض من فيض، وهي تؤكد سذاجة الاغترار بالشعارات والوعود الإيرانية التي تدغدغ عواطف الكثيرين من العامة والنخب مع الأسف.

وعليه فإن إيران مطالبة بتعديل سلوكها مع المسلمين قبل أن تطالب بتطبيع العلاقات معها، وإن على المنخدعين بالشعارات الجوفاء الاستيقاظ من أحلامهم الوردية بالوحدة والتعاون والتقريب بين المذاهب، ورؤية حقيقة المواقف والسياسات الإيرانية في الواقع.

وإن بقاء الحال مع إيران على حد تعبير الوزير القطري « يكذبون علينا ونكذب عليهم»، هو خطأ كبير لأنها نصف الحقيقة، فهم يكذبون علينا أنهم لا يعملون ضدنا وهم يعملون!!

أما نحن فنكذب عليهم أننا نحبهم، ونحن لا نحبهم فقط !!

وفرق كبير بين الموقفين، فهم يعلمون أننا لا نحبهم لأنهم يسيئون إلينا ويضرون بنا بالأعمال والأفعال التي بلغت مدى بعيداً، بينما نحن نكتفي بالمشاهدة لما يفعلون ونبتسم !



١٤- نوال السعداوي

أسامة الهتيمي – خاص بـ «الراصد»



سمتان أساسيتان تتميز بهما الكاتبة المصرية العلمانية الدكتورة نوال السعداوي عن أغلب الكتاب العلمانيين العرب، فهي أولاً لا تقتصر في خطابها وكتاباتها على مخاطبة النخبة الثقافية بل إنها تسعى جاهدة إلى أن تصل بأفكارها إلى أقصى ما يمكن من القطاعات الشعبية والجماهيرية، ومن ثم تأتي السمة الثانية وهي إيثارها للمباشرة وعدم التعقيد أو الغموض فيما تقوله وتقدمه، وهو ما جعلها وجعل لأفكارها شهرة تفوق شهرة الكثير من الكتاب العلمانيين، ليس في مصر فحسب بل وفي العديد من البلدان العربية والغربية أيضا، وهو ما يفسر التهافت الشديد من قبل دُور النشر الغربية على ترجمة أعمالها ورواياتها إلى لغات متعددة.

والحقيقة أن الدكتورة نوال السعداوي تطرح دائماً أفكاراً مثيرة للجدل ليس لأنها أفكار إصلاحية أو تجديدية كما تزعم أو يزعم أولئك المبهورون بها ولكن لأنها أفكار شاذة لا تستند إلا لخيال مريض وهوى شكّلته ربما ظروف حياتية خاصة دفعتها إلى أن تقيس الأمور كلها بمقياس عقلها واستنتاجاتها.

وأكثر المواضع التي يتكشف فيها شذوذ نوال السعداوي هو عندما تتحدث عن الدين، الذي تتعامل معه على اعتبار أنه مجموعة أفكار واجتهادات يمكن النظر إليها دون التحسب إلى أن هناك وحي إلهي حدد الكثير من أسس وقواعد هذا الدين، وهو ما عرف بالثوابت التي لا يجوز الخروج عنها أو القفز فوقها، في حين ترك لهم مساحة أخرى يجتهدون فيها بما يتوافق مع زمانهم ومكانهم وتحقيق مصالحهم وبما لا يخرج عن الثابت وهو ما يعرف بالمتغيرات.

❁ المولد والنشأة:

ولدت نوال السعداوي في منطقة العباسية بالقاهرة عام ١٩٣٠م، لأسرة متدينة حيث كان أبوها عالماً أزهرياً وأستاذاً بكلية دار العلوم.

تفوقت السعداوي في دراستها حتى تمكنت من الالتحاق بكلية الطب بجامعة القاهرة لتتخرج منها في عام ١٩٥٤، ويتم تعيينها طبيبة امتياز في مستشفى قصر العيني لتتخصص بعد ذلك في مجال الأمراض الصدرية.

انضمت الدكتورة السعداوي أثناء دراستها بكلية الطب إلى جماعة الإخوان المسلمين وهو ما أكده الطبيب الإخواني محمود جامع صاحب كتاب «عرفت السادات»، حيث يقول في كتابه «وعرفت الإخوان»: «كان معنا في نفس الدفعة في كلية الطب الدكتورة نوال السعداوي التي نجحنا في ضمها للإخوان وتحجبت في ملبسها وغطت رأسها وكانت ملابسها على الطريقة الشرعية، ونجحت في أن تنشئ قسما للأخوات المسلمات من طالبات الكلية كما أنشأت مسجداً لهن بالكلية وكانت تؤمّهن في الصلاة، وكنت أنا ضابط الاتصال بينها وبين الإخوان وأقنعت كثيراً من زميلاتها بالانضمام للأخوات المسلمات، وكانت تحضّهن على الصلاة والتمسك بالزى الإسلامي في وقت كان

الحجاب بين النساء نادراً، وكانت تخطب في المناسبات الإسلامية وفي حفلات الكلية باستمرار».

تعرضت السعداوي للفصل من وظيفتها بقرار وزاري لنحو ست مرات، وذلك بسبب كتاباتها وآرائها حسب ما تزعم، غير أنها لم تخرج من عملها إلا وقد تزوجت بالدكتور شريف حتاتة القيادي الشيوعي، الذي كان قد قضى حينذاك أكثر من عشر سنوات من الاعتقال في سجون الرئيس جمال عبد الناصر، وهو ما مثل محطة هامة في حياة نوال السعداوي حيث توافقت الكثير من الرؤى الفكرية والثقافية للاثنين ما دفع السعداوي للاستمرار في تبني نهجها.

كانت نوال السعداوي ممن تعرضوا لقرارات الاعتقال السياسي التي صدرت عن الرئيس أنور السادات في سبتمبر عام ١٩٨١ وضمت مجموعات سياسية من مختلف الاتجاهات السياسية غير أنه سرعان ما تم الإفراج عنهم حيث اغتيل السادات في نفس العام.

تعرضت السعداوي للكثير من المشكلات بسبب آرائها المستفزة للأغلبية المسلمة التي اعتبرت آراء السعداوي خروجاً صريحاً عن الإسلام وطعناً في عقيدته، غير أن هذا كله لم يكن له من أثر على السعداوي التي لاقت كل الدعم والتأييد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي أتاحت للسعداوي فرصة التدريس لمادة التمرد والإبداع في عدد من جامعاتها غاضة الطرف عن كونها يسارية وأنها تنتقد الكثير من المواقف الأمريكية.

وكان من بين ما تعرضت له قيام بعض الإسلاميين برفع قضية الحسبة للتفريق بينها وبين زوجها، كما اتهمت بـ «ازدراء الأديان» في حين رفضت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة في مصر في ١٢ مايو ٢٠٠٨ م إسقاط الجنسية المصرية عنها في دعوى رفعها ضدها أحد المحامين بسبب آرائها.

كتبها ودراساتها:

عرف عن الدكتورة نوال السعداوي كثرة كتاباتها حيث وصلت مؤلفاتها إلى نحو خمس وأربعين مؤلفاً ترجم الكثير منها لأكثر من خمسة وثلاثين لغة.

وقد هيمن على كتابات السعداوي الحديث عن قضية المرأة ودعوى تحريرها من زوايا وأبعاد متعددة، حتى باتت تعرف لدى الكثيرين على أنها عرابة الفكر النسوي الجديد الذي تقدمه الأمم المتحدة ومنظماتها على أنه النموذج الأمثل لما يجب أن تكون عليه المرأة.

ومن أهم ما قدمت السعداوي:

مذكرات طبيبة ١٩٦٠، المرأة والجنس ١٩٦٩، الوجه العاري للمرأة العربية ١٩٧٤، سقوط الإمام ١٩٨٧ (رواية) وقد ترجمت إلى ١٤ لغة كالإنجليزية والألمانية والفرنسية والسويدية والإندونيسية، أوراق حياتي ٢٠٠٠، مذكراتي في سجن النساء، قضايا المرأة المصرية السياسية والجنسية، معركة جديدة في قضية المرأة، توأم السلطة والجنس، رحلاتي في العالم، المرأة والدين والأخلاق بالاشتراك مع الدكتورة هبة رؤوف (مناظرة حول قضايا المرأة)٢٠٠٠، الحاكم بأمر الله (مسرحية من فصلين)، الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة ٢٠٠٦ (الكتاب تم منعه من النشر في مصر).

السعداوي رئيسة:

لم تكتفِ نوال السعداوي بدورها الثقافي والفكري فاقتحمت العمل السياسي منذ فترة مبكرة من شبابها، غير أنها ولظروف كثيرة كان أهمها التضييق الشديد الذي شهدته الحياة السياسية المصرية غابت كما غاب كثير من جيلها عن المشاركة السياسية التي آثر البعض أن تكون عبر المشاركة بالكتابات والندوات، إلى أن فاجأت السعداوي الحياة السياسية في ديسمبر عام ٢٠٠٤ بإعلانها عن نيتها الترشح لانتخابات رئاسة

الجمهورية التي كان من المقرر إجراؤها حينئذ في مايو ٢٠٠٥.

وأكدت السعداوي وقتها أنها تدرك جيدا أنها لن تحقق فوزا في الانتخابات إن سمح لها من الأصل بالترشح، وأنها لم تكن تهدف بالأساس إلا لتحريك الشارع المصري ضد النظام السياسي المستبد وهو المبرر الذي يمكن النظر إليه بتقدير، غير أن ما أعلنته السعداوي من مطالب تزامن مع ترشحها الافتراضي كشف عن كثير من نواياها إذ ركزت مطالبها على ضرورة فصل الدين عن الدولة بما في ذلك قوانين الأحوال الشخصية، الأمر الذي يشير إلى أن هذا الترشح ليس إلا حيلة علمانية مكشوفة أرادت بها ممارسة الضغط على النظام المصري لتثبيت النهج العلماني واستمرار الدولة في موقفها المتعنت من الإسلام والإسلاميين.

والمثير للتساؤل في مسألة ترشح السعداوي لرئاسة الجمهورية أن جهة تسمى «الهيئة القبطية المسيحية المصرية» ومقرها الولايات المتحدة الأمريكية قد دعت إلى إجراء استفتاء على نوال السعداوي لكي تصبح رئيسا لجمهورية مصر العربية.

طلاق السعداوي:

على الرغم من أن وسائل الإعلام تتلقف أنباء انتهاء الحياة الزوجية للمشاهير بالكثير من الاهتمام من باب الإثارة الإعلامية وتسلية القراء والمشاهدين إلا أن طلاق نوال السعداوي من زوجها الدكتور شريف حتاتة لم يحظ بالاهتمام الكافي من الإعلام مع أهميته، فقد حرص التيار العلماني الذي يسيطر على الإعلام على تمرير الخبر بشكل طبيعي وعدم التوقف عنده كثيراً، ليس من باب احترام الخصوصية حسب زعم بعض كتابهم وإنما رغبة في ستر عورات واحدة من أهم منظرات هذا التيار التي ما فتئت تروج الكثير من الأكاذيب والأباطيل عن معنى ومفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة، وكانت لا تترك مناسبة إلا وتؤكد أن علاقتها بزوجها على خير ما يرام وأن الرجل يحترم جدا أفكارها وآراءها التي تجعل منها نداً ليس وفقا لما شرعه الله ولكن وفقا لما تنص عليه الأفكار النسوية الحديثة التي تجعل من المرأة ما يسمى بـ«الجندر» فلا هي امرأة ولا هي رجل.

والحقيقة أنه لولا ما كشفته الكاتبة منى حلمي ابنة نوال السعداوي من أسباب خفية وراء الطلاق لظلت هذه الأسباب طي الكتمان، إذ اقتصرت أغلب التقارير التي تناولت الحدث على التلميح دون التصريح بأن هناك امرأة أخرى في حياة حتاتة كانت السبب الرئيس لتطليقه للسعداوي.

وبحسب منى حلمي فإن سلوك حتاتة المشين هو الذي دفع والدتها لطلب الطلاق، بعد أن اكتشفت بمحض المصادفة خيانته لها مع معدة تلفزيونية مقبلة على الخمسين من عمرها كانت تتردد على منزل السعداوي وحتاتة بدعوى رغبتها في عمل فيلم تسجيلي عن حياة السعداوي، ومن ثم كانت تتركها السعداوي في مكتبة منزلها مع حتاتة دون أن يساورها أية شكوك في زوجها الذي اقترب من التسعين عاماً.

وتؤكد ابنه السعداوي أن هذه الخيانة التي تم اكتشافها ليست الأولى في تاريخ العلاقة الزوجية لحتاتة والسعداوي، إذ كانت أخبرتها إحدى صديقاتها من قبل أن زوج والدتها سافر معها لقضاء ثلاثة أيام في مدينة مرسى مطروح وأنه طارحها الفراش، غير أنها لم تشأ إبلاغ والدتها بهذا الأمر حتى لا تتأثر نفسياً.

وبعيدا عن صدق رواية ابنة السعداوي أو كذبها، فإن ما يتضح بجلاء أن العلاقة بين الطرفين لم تكن بالصورة التي كانت تصر السعداوي على أن تخدع بها قراءها زاعمة أنها تعيش حياة مثالية مع زوج مثالي في ظل أفكار وآراء صائبة تجاوزت الأفكار المتخلفة التي تحكم المجتمع العربي والإسلامي.

كما أن الطريف في مسألة خيانة حتاتة للسعداوي أنه درس قاسٍ دافع الله به عز وجل عن المشايخ والدعاة، الذين ما تركت

السعداوي فرصة إلا وهاجمتهم متهمة إياهم بإصابتهم بلوثة جنسية لأنهم بحسب وصفها لا يتحدثون إلا عن الجنس والمرأة وإرضاع الكبير، فإذا كان هؤلاء يتحدثون، فإن زوجها «المثالي» لا يكتفي بمجرد الحديث بل إنها نفسها لم تخجل من أن تعلن أنها يمكن أن تتزوج وهي في فوق الثمانين عاما إثر قصة حب مع رجل آخر فالحب ليس له سن.

أيضا وبحسب رواية منى حلمي، فإن العامل المادي كان له أثره في توتير العلاقة بين الزوجين بعد أن اكتشفت السعداوي أن زوجها يتلاعب برصيدهما المشترك في أحد البنوك، وأنه قام بسحب مبالغ كبيرة دون إبلاغها واشترى بهما سيارة وشقة جديدتين، على الرغم من أنها كانت قد كتبت باسمه شقة لها تمتلكها بالجيزة في أعقاب زواجهما، مراعاة لحالته النفسية باعتباره الرجل، وهو ما يحمل إشارة قوية إلى أن المتمردة الثائرة تعمل حساباً للمجتمع وعاداته، فالرجل في العرف المجتمعي يجب أن يكون مالكاً لسكن الزوجية وهو ما حرصت السعداوي على أن تحققه.

والحقيقة أن هذا التناقض بين ما تقوله السعداوي في كتاباتها ورواياتها وبين فعلها في حياتها له نماذج كثيرة ومتعددة، ومنها مثلاً موقفها من ختان الذكور الذي كثيراً ما هاجمته واعتبرته فعلا وحشيا على الرغم من أنها قامت بختان ابنها.

بل إن الأسوأ هو كذبها وتزييفها للحقائق، وهو ما أكده حتاتة في رده على الادعاءات التي نشرت بحقه في الصحف والمجلات ونفى نفياً تاماً كل ما وجه له من اتهامات ما يضعنا أمام خيار تكذيب أحدهما.

أفكار شاذة:

ليس صعباً على أي باحث أن يرصد الأفكار الشاذة التي تتبناها وتروّج لها نوال السعداوي عبر كتبها ورواياتها، فهي كما ذكرنا سالفاً تتبع منهج المباشرة في طرح هذه الأفكار بل وتفخر بطرحها، فالكاتبة من النوعية التي تسعى إلى أن يكون نجمها متوهجاً باستمرار، وكلما استشعرت أفول أو اقتراب أفول هذا النجم تنتفض لتطرح فكرة شاذة جديدة تعيد لها أضواء الإعلام وأحاديث الصالونات الثقافية والفكرية وهو ما يعطي لنوال السعداوي ميزة جديدة مقارنة بأقرانها من الكتاب العلمانيين، ألا وهي تبنيها لكل الأفكار الشاذة التي ربما يخجل بعض العلمانيين أو يتحاشون إعلان تبني بعضها.

فالكثير من العلمانيين يتعاطون مع الدين انطلاقاً من كونه علاقة للعبد بربه وأن دوره لا يخرج عن الصدور وأماكن التعبد، أما السعداوي فتنظر للعبادات على أنها طقوس، ففي حوار لها مع موقع إيلاف تقول بالنص: «إن الحج عادة وثنية»، وعندما يستنكر عليها محاورها ذلك ويقول لها ولكنه الركن الخامس ترد قائلة: «أبدا.. هو (اختياري) (لمن استطاع إليه سبيلا) أبي توفي ولم يحج، وهذا لا يعني أن إسلامه ناقص. هناك من يصلي دون أن تنفعه صلاته، وهذا ينطبق على الذي يذهب للحج ليقوم بعمل أو يقبل الحجر الأسود!! إنني أسأل هل تقبيل الحجر الأسود من الإسلام؟ هذه وثنية!!! الإسلام أتى ليقضي على الوثنية وأنا أحارب عبادة الأوثان».

وموقف السعداوي يتكرر أيضا مع الصلاة، ففي نفس الحوار تقول: «أنا أيضا ضد الطريقة التي يصلون بها لقد ذهب جمع من الصحابة لرسول الله وقالوا له فلان يصلي الليل والنهار فقال لهم: ومن يعول أسرته قالوا: كلنا يا رسول الله. فقال: أنتم خير منه. يا أخي رعاية الأولاد صلاة وعبادة، الصدق صلاة وعبادة، التعامل الإنساني صلاة وعبادة، ليس أن يذهب إلى الحج ليسرق أو يتاجر أو يصلي وهو أفسق خلق الله. أنا مع المفهوم الصحيح للإسلام، الصلاة ليست مجرد حركة رياضية كما أصبحت حالاً. الصلاة هي إحياء الضمير».

وبالطبع فإن موقف السعداوي أتفه من أن يرد عليه، إذ هي أوجدت في خيالها المريض علاقة تناقضية بين الفروض التعبدية وبين القيم الأخلاقية على الرغم من أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة أكدت مراراً وتكراراً على العلاقة الوثيقة التي تربط بين الأمرين.. لكن بماذا نعلق على أناس تهافتت عقولهم إلى هذه الدرجة؟

ومن بين آرائها أيضا: موقفها الرافض بشدة لحجاب المرأة، الذي اعتبرته نوعاً من الكذب والنفاق وأنه لا توجد إشارات في القرآن حوله، وحتى وإن وجد فإن سيدنا محمداً ﷺ قال أنتم أعلم بشؤون دنياكم.

كما أنها تعتقد أن الحجاب حجاب العقل، وأن الحجاب والنقاب الحالي يؤديان إلى مصائب عديدة لدرجة أن البعض يرتكب جرائم تحت ستار النقاب والحجاب.

ومرة أخرى يعجب المرء كيف يفكر مثل هؤلاء الذين تركوا لضلال عقولهم العنان دون رابط أو أساس، فيقولون ويفعلون ما يحلو لهم متوهمين أن هذا ما يتوافق مع المنطق والعقل على الرغم من تبيان ضلاله وتناقضه، فبادئ الأمر ترفض السعداوي أن يكون حجاب المرأة من الدين، ثم تقر من باب الجدل أن آيات من القرآن تحدثت عنه غير أن هذا لا يعني الفرضية، إذ أن الرسول ﷺ قال إن المسلمين أعلم بشئون دنياهم، وعليه فإن كان حجاب المرأة مما يتعارض مع مصالح الدنيا فيمكن لنا أن نرفضه ونبيح للمرأة تبرجها.. نسأل الله أن يثبت عقولنا!

ولا تتردد نوال السعداوي أن تعلن أكثر من مرة في لقاءاتها الصحفية والتلفزيونية أنها لا ترفض المثلية الجنسية، فتقول في أحد برامج قناة الجزيرة: «إن للمثليين الحرية في ممارسة مثليتهم وأنا لا أمانع في هذا فأنا لي أصدقاء وصديقات يحبون نفس الجنس وكل واحد حر».

وهنا نسأل الدكتورة نوال التي كثيراً ما تزعم أنها مع جوهر الإسلام.. هل تبيح روح الإسلام مثل هذه العلاقات المثلية، وهل يمكن أن يستقيم هذا السلوك الشائن مع الفطرة الإنسانية التي يفترض أنها تعمل على حفظ النسل، أم أن ذلك انعكاس لحالة من الفوضى والاضطراب السلوكي الذي يجب أن يقوم؟

أما أسوأ ما تطرحه السعداوي من أفكار، فهي محاولتها القميئة والخسيسة للإساءة للذات الإلهية، عندما تعلن اعتراضها على قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] إذ هي ترى أن الأنسب هو أن تقرأ هذه الآيات هكذا.. «قل هي الله أحد» .تعالى الله عما تقول علواً كبيراً.

وتدّعي السعداوي أن اللغة العربية منحازة للرجل على حساب المرأة، دون أن تعطي لنا الدكتورة الفاضلة تصوراً شاملاً لكيفية تعاطي بقية اللغات مع الذات الإلهية.

إن ما تعانيه السعداوي أزمة نفسية وتمرداً على كونها أنثى إلى الدرجة التي ترفض فيها أن ينسب الأبناء لآبائهم، فهي تريد أن ينسب أيضاً الابن أو الابنة لأمهما وهو ما دفع ابنتها منى إلى أن تسمي نفسها منى نوال حلمي، غير أنها لم تخبرنا كيف يمكن سرد الاسم بالكامل بعد ذلك.

وإذا سلمنا جدلاً بأن المجتمع العربي والإسلامي مجتمع ذكوري ينحاز للذكور وقد جعل نسب الأبناء لآبائهم وذلك بنص القرآن الكريم «ادعوهم لآبائهم»، فلماذا تصر بقية المجتمعات وخاصة الغربية منها على أن تنسب الأبناء لآبائهم أيضاً، برغم كون هذه المجتمعات مجتمعات ديمقراطية لا تنحاز للرجل على حساب المرأة، بل إن هذه المجتمعات هي التي أفرزت الفكر النسوي الذي رفع من شأن المرأة وجعلها في أعلى المراتب بحسب مزاعم السعداوي وأمثالها؟!

مسيح الهند القادياني الدجال ودعاة مسيحيته في سورية

بقلم العلامة محمد رشيد رضا
(من مجلة المنار – مجلد ٣١)

(١)

إن هؤلاء المسيحيين الإسلاميين قد جمعوا من الهند أموالاً كثيرة بثُّوا بها دعايتهم في البلاد، وقد طبع دعاتهم في سورية رسائل متعددة في الدعوة إلى نِحْلته فانخدع بها شاب دمشقي عنده هوس في الأفكار الدينية بغير علم بأصول الإسلام الصحيحة ولا فروعه، اسمه (منير الحصني) جاء مصر في العام الماضي فتمنينا لو يلقانا لنتكلم معه فلم يكن ذلك. وأخيرًا جاءنا منه رسالة يرد فيها على بعض ما كنا نشرناه في المنار من تفنيد هذه المسيحية وتكذيب دجالها القادياني في حال حياته، وإننا لكثرة الشواغل لم نفرغ للاطِّلاع على شيء من تلك الرسائل التي طبعوها أخيرًا.

وأما هذه الرسالة الخطية فقد كنت أراجع في آخر هذا الشهر (رجب) إضْبارَة الرسائل المحفوظة للمراجعة فوقعت عيني عليها، وكان تحرير الجزء الخامس من المنار لم يتم فأحببت أن ألخصها وأبين أهم ما فيها من حجج القوم الداحضة. والرد عليها بالبينة الناهضة. يرد هذا الداعية للمسيحية الإسلامية التي يسمونها (الأحمدية) على المنار في ثلاث مسائل:

١- ما أنذر مسيحهم به صاحب المنار فكان إنذاره كاذبًا.

٢- نسخ مسيحهم لمشروعية الجهاد.

٣- كوْنهم أعداءً للإسلام، كافرين ببعض القطعيات من أصوله، مضللين لأهله.

١ – إنذار القادياني لصاحب المنار: ذكر الكاتب في مقدمة رسالته أن مسيحهم بلغني دعوته فأنكرتها عليه (بلا دليل بيِّن ولا حجة دامغة) لجهله ما اتفق عليه علماء الشرع والعقل من أن البينة على المدعي، ثم قال: (وقد جئت بأسطري هذه ردًّا على ما يمس الأحمدية التي هي عندي الإسلام الصحيح من تُهَمك المنشورة عنها في المنار، وأملاً أن تذعن للحق ولو على نفسك، كما أنني أفعل ذلك إذا أظهرت لي بعض الخطأ، والله على ما أقول شهيد). ثم قال: (ذكرت في مجلتك كما كتبت إلى أحد قرائها في بيروت ما مفاده بأن أحمد المسيح الموعود عليه السلام كان أنبأ في كتابه -الهدى والتبصرة لمن يرى- بوحي من الله عن موتك في حياته ولكن نبوته لم تصدق إذ مات في حياتك وهذا ما أدرجته في منارك بنصه: (وقد رددنا عليه في حياته بما أظهر بهتانه حتى بنفس مماته فإنه كان رد علينا في كتابه الهدى والتبصرة لمن يرى فزعم أنه قد جاءه الوحي بأن صاحب المنار (سيهزم فلا يرى نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى) يعني أن الله تعالى وعده بأن ينتقم له منه، ولكنه مات ولم تقر عينه بموتنا ولا بمصيبة يفسر بها وحيه الشيطاني). فقبل أن أبين لك خطأك الفادح في فهم هذا النبأ الذي تم صدقه بكل وضوح أقول: إن نفس مماته عليه السلام كان دليلاً على صدقه لا على بهتانه، كما تزعم؛ لأن الله أخبره عن عمره قبل وفاته بثلاثين سنة بقوله: (ثمانين حولاً أو قريبًا من ذلك) وقد توفي عن ٧٥ سنة توالى عليه الوحي في السنوات الأخيرة منها بشأن الوفاة إذ أخبره الله في ديسمبر سنة ١٩٠٥ بقوله: (قرب أجلك القدر) وقال له في ٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧: (موت قريب هي) أي أن الموت قريب. وكذلك أوحى إليه بهذا المعنى

مـرتين في ٧ مـارس سـنة ١٩٠٨ و٣ نيسـان سـنة ١٩٠٨ ونُشرت هـذه الأنبـاء في حينهـا في الجرائـد والمجـلات وأن وفاتـه عليـه السـلام في مـايو سـنة ١٩٠٨ طبـق الأنبـاء المـذكورة بـدليل سـاطع عـلى صـدقه. بعـد هـذا حـصر الـرد عـلى عبـارتي في الـشق الأول ممـا فـسرت بـه إنـذار مـسيحه وهـو مـوتي، وتـرك الـشق الثـاني وهـو وقـوع مـصيبة بي يفـسر بهـا وحيـه الـشيطاني، وقـد أطـال في تخطئتـي واسـتطال في التثريـب عـليَّ والتأنيـب لي والتحقـير والتهديـد بـما يـدل عـلى هوسه العقلي في هذا الدجل الشيطاني.

فـأقول: زعـم القاديـاني أن الله أخـبره بعمـره! أقـول في تفنيد هذا الهوس:

أولاً: مَـن كـان واسـع الاطـلاع عـلى التـواريخ أو الاختبـار لأحـوال الأمـم وأخبـار الـدجالين فيهـا يعلـم أن الأغـرار ينخـدعون بأمثـال هـذه الأخبـار التـي يـسميها الجـاهلون كـشفًا وكرامـات، أو وحيًـا ونبـوات، وإن كـان مثلهـا معتـادًا، والـصادق منهـا كثـير الوقـوع مـن غـير مَـن يعتقـدون هـذا الاعتقـاد فـيهم، ولكـن أغـرار العـوام قلـما يميـزون بـين الـصادق والكـاذب، فهـذا الـذي ذكـره الحـصني مـن وحـي مـسيحهم القاديـاني أدل عـلى كذبـه منـه عـلى صـدقه. فهـو يقـول: إن الله تعـالى أخـبر مـسيحهم عـن عمـره بقولـه: (ثمانـين حـولاً أو قريبًـا مـن ذلـك) أي هـذا نـص الـوحي الـذي خاطبـه الله بـه، ووجـه الدلالـة هـذا القـول عـلى كذبـه في دعـوى أنـه وحـي: تـردده في تحديـد العمـر، فلـو كـان هـذا خـبرًا مـن الله تعـالى –وهـو عـلام الغيـوب– لكـان جزمًـا بالتحديـد، وتعيينًـا لعـدد الخمـسة والـسبعين، وقـد يـزاد عـلى هـذا أن عـدد ٧٥ لا يعـد قريبًـا مـن عـدد الثمانـين في مثـل هـذا المقـام؛ لأن الخطـأ في العـدد التقريبـي هـو مـا كـان في كـسر الـسنة لا في عـدة سـنين. ثـم مـا فائـدة هـذا الـوحي المتتـابع مـن أواخـر سـنة ١٩٠٥ إلى مـا يقـرب مـن نـصف سـنة ١٩٠٨ وهـي بعـد اسـتكماله لـسن الـسبعين بتلـك العبـارات الـسخيفة؟ ومـا الـدليل عـلى أن تلـك الخـواطر وحـي مـن الله تعـالى بتلـك الألفـاظ العاميـة؟ ولمـاذا جـاءه الـوحي بتـاريخ مـسيح اليهـود والنـصارى، ولم يجئـه بتـاريخ الهجـرة المحمديـة أو بتـاريخ مـسيحيته هـو؟! ومـن المعلـوم أن مـسألة قـرب الأجـل ممـا يكثـر خطـره في أذهـان أكثـر النـاس في هـذه الـسن ويكثـر تعبـيرهم عنـه، وقـد اشـتهر عـن كثـير مـن النـاس ذكـر قـرب آجـالهم في حـال الـصحة وذكـر مواضـع مـوتهم، ووقـوع الحـوادث عـلى وفـق الخواطر في هذه المسألة كثير.

ثانيًـا: إن إنـذاره لي كـان كإنـذاره لأنـاس غـيري في إبهامـه واحتمالـه للتأويـل وكـذلك دأب الـدجالين في نُـذُرهم ومـا يدعونـه مـن الإنبـاء بالغيـب، فـإن اتفـق صـدقه هللـوا وكـبروا، أو طبلـوا وزمـروا، وزعمـوا أنـه يـدل عـلى صـدقهم فـيما زعمـوا، وإن لم يتفـق صـدقه –كـما هـو– التمـسوا لـه تـأويلاً ولـو سـلبيًّا كـما فعـل الحـصني في رسـالته هـذه. ادعـى أننـي جزمـت بـأن إنـذار مـسيحه لي نـص بـأنني أمـوت قبلـه وأطـال في ذلـك بـما أشرت إليـه آنفًـا، وهـذا كـذب صريـح وبهتـان جـلي عـليّ فإنني إنـما فسرته أنـا بأنـه يعنـي بـه انتقـام الله تعـالى لـه منـي، وأننـي لـو مـتُّ قبلـه لفـسر هـذا الانتقـام بمـوتي، وكـذلك لـو أصـابتني مـصيبة لفـسره بهـا أيـضًا. فهـذا الحـصر الـذي حمـل عليـه الحـصني كلامـي إمـا أن يكـون عـن جهـل منـه بمـدلول الألفـاظ العربيـة وحينئـذ لا يكـون أهـلاً للمنـاظرة في شيء قـط؛ لأنـه لا يفهـم مـا يكتـب ومـا يقـال، وإمـا أن يكـون تحريفًـا متعمـدًا؛ فيكـون منافقًـا في مـسيحيته الأحمديـة هـذه، ولا يغنيـه إزراؤه بنـا في رسـالته وتحـدينا بنقـل ألفـاظ الـوحي المنزلـة بأننـا نمـوت قبلـه وتوبيخنـا عليهـا،

ولـولا أن نقلها سـفه وإضـاعة لوقتنـا ووقـت القـراء لنقلناهـا لإضـحاك النـاس عـلى كاتبهـا! وإنـما نـذكر منهـا مـا يتعلـق بالاحتجاج.

ثالثًـــا: قـــال: إن مـــسيحه الـــدجال صرح في جريدتـــه (الحكـم): (أنـه لـيس بـضروري أن يمـوت أعـداء الأنبيـاء في حيـاتهم) واسـتثنى المباهـل ثـم قـال مكـررًا للكـلام: (وهـذا وإن كـل مَـن دعـا عليـه المـسيح الموعـود وأخـبره الله عـن استجابته ذلـك الـدعاء بـالوحي وكـذلك مَـن باهلـه عـلى شرط أن يمـوت الكـاذب في حيـاة الـصادق أهلكـه الله في حياتـه مثـل ألكـسندر دوتي مـن أهـالي أمريكـا[1] وفريـق مـن النـصارى في الهنـد) وذكـر أسـماءً أخـرى. ثـم توعـدني بآيـات القـرآن، فـيمن يمـدهم الله في طغيـانهم يعمهـون ويمـلي لهـم ليـزدادوا إثـمًا.. إلـخ. وهـذا عـين مـا قلتـه في ضـلالهم وإضـلالهم وهـو أن مـن يمـوت مـن المكـذبين لـه أو تـصيبه مـصيبة يقولـون: إنـه مـات معجـزة لـه، وتـصديقًا للـوحي الـذي زعمـه، ومـن يبقـى حيًّا يقولـون إنـه مـا دعـا عليـه، وإنـه مـا عـاش إلا ليـزداد طغيانًـا وإثـمًا، ونحمـد الله أنـه تعـالى أحيانـا حيـاة طيبـة نقـيم دينـه بـالقول والعمـل، ونـدافع عنـه بالحجـة، لا نـدَع ملحـدًا ولا داعيـة كفـر وضـلالة، ولا أصـحاب بدعـة ولا أولي منكـر إلا ونـرد علـيهم، ونفسر كتابـه العزيـز بـما فـضله العلـماء المـستقلون عـلى جميـع تفاسـير الأمـة، لا كتحريـف القاديـاني وأتباعـه لـه بـما يتـبرأ منـه الـدين واللغـة كزعمـه أن البـشارة بـه مـن معـاني البـسملة. زَعْـم الحـصني صـدق مـسيحه فـيما أوعـدنا بـه: ثـم إنـه رد عـليَّ بـما زعمـه أن مـا قالـه مسيحه فيَّ قـد صـدق ووقـع وهـو الهزيمـة مـن مناظرتـه قـال: (وفهمـك منـه أنـه أراد موتـك في حياتـه فـإن هـذه الجملـة لا تـدل عـلى مـا ذهبـت إليـه بتاتًـا، ولـيس فيهـا سـوى ذكـر الهزيمـة، والهزيمـة هـي الفـرار إبقـاءً عـلى الحيـاة، فكيـف يـسوغ لـك أن تفهـم منهـا المـوت، نعـم إن النبـأ واضـح عـلى فـرارك مـن الميـدان الـذي دعـاك إلى المبـارزة فيـه بـصورة لا تـرى فيـه أبـدًا، وأن مـا دعـاك إليـه هـو كتابـة كتـاب مثـل كتابـه الـذي تحـداك بـه وجعلـه معيـارًا لـصدقه كـما قـال في ص ٢٠ مـا نـصه: ووقفـت لتـأليف ذلـك الكتـاب، فـسأرسله إليـه بعـد الطبـع وتكميـل الأبـواب، فـإن أتـى بـالجواب الحـسن وأحـسن الـرد عليـه فـأحرق كتبـي وأقبّـل قدميـه، وأعلـق بذيلـه، وأكيـل للنـاس بكيلـه، وهـا أنـا أقـسم برب البرية، وأؤكد العهد بهذه الآلية) اهـ.

أقـــول: أولاً: بوجـــه الإجمـــال إن المـــسيح الـــدجال القاديـاني قـد كـذب وأخلـف وعـده بإرسـال الكتـاب المـذكور فلـيس لي علـم بهـذا الكتـاب، وكـذب الحـصني في زعمـه أنـه دعـاني للمبـارزة في هـذا الميـدان ففـررت منـه بـصورة لا أرى فيهـا أبـدًا. فأنـا ظللـت أرد عليـه حتـى هلـك، وإنـما ميـداني الواسـع هـو المنـار، ولا أزال أجـول فيـه وأصـول، بـسيف الله المـسلول، وسُـنَّة الرسـول ﷺ عـلى أننـي ظهـرت ورئيـت بفـضل الله في ميـادين أخـرى لـسانية لا كتابيـة كثـيرة، منهـا ميـدان بـلاده الهنديـة، فقـد زرت الهنـد ولقيـت حفـاوة وحفـلات عظيمـة بيَّنـت دجـل القاديـاني وكذبـه عـلى الله في بعضها كما سأبينه بعد.

(٢)

إن جمعيـة نـدوة العلـماء قـد دعتنـي في سـنة ١٣٣٠هــ (١٩١٢م) إلى الهنـد لأتـولى الرياسـة والـصدارة لمؤتمرهـا الإسـلامي الـذي تريـد عقـده في مدرسـتها الجديـدة التـي أنـشأتها في مدينـة (لكهنـؤ) فأجبـت الـدعوة، وحقـق الله تعـالى بي رجـاء الجمعيـة في إقبـال مـسلمي الهنـد عليهـا، فلـم تـر مثـال إقبـالهم في تلـك الـسنة. وكـان مـن جملـة الوفـود الـذين حـضروا مـن أقطـار الهنـد للـسلام عـليَّ وفـد قاديـان مـن أتبـاع

(١) هذا الرجل كان دجالاً في النصارى كدجل غلام أحمد القادياني في المسلمين.

غلام أحمد منتحل المسيحية في الإسلام، وقد دعوني إلى زيارة بلدهم فلم أجبهم؛ لأنهم يستغلون هذهالزيارة فيوهمون المسلمين أن ضيف الهند الذي احتفلت به وأكرمت مثواه يحترم هذه الطائفة الضالة المضلة، ويحترم دعيَّها المسيح الكذاب، وقد بلغني أن رئيس جمعية الندوة شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رحمه الله تعالى قد منع الوفد من البحث في بدعتهم معي في دار ضيافة الندوة، فلما أردت السفر وخرجت الجموع إلى محطة السكة الحديدية لتوديعي خرج معهم الوفد القادياني ولم يملك رئيسه نفسه أن جهر بدعاية مسيحيتهم في المحطة - ومَن يدري ماذا كان يقول لو سكت عنه أو تكلمت بما لم يسمعه غير وفدهم ومن يقرب مني وأكثرهم لا يفهمون العربية - فوقفت في نافذة القطار ورددت عليهم بصوت جهوري يسمعه الجم الغفير مفندًا نِحلتهم، دامغًا بدعتهم، وما أذكره من ذلك أن مسيحه يزعم أن الحرب قد بطلت من الأرض بظهوره ونسخت فرضية القتال الذي فرضه الله على المسلمين فلم يبق من حاجة إلى الجهاد، وقد كذبه الله تعالى بعدوان دول إيطالية هنالك على طرابلس الغرب وبرقة وقتالها للمسلمين هنالك بغيًا وعدوانًا، ومن المجمع عليه عند المسلمين أن الكفار إذا اعتدوا على بلاد المسلمين يكون القتال لدفعهم عنها فرضًا عينيًّا على كل مَن قدر عليه. ومسألة الجهاد هذه كمسألة ادعاء النبوة قد خالف فيها المسيحيون القاديانيون إجماع المسلمين فيما هو قطعي معلوم من دين الإسلام بالضرورة، فخرجوا بذلك من الملة الإسلامية، وقد بيَّنا من قبل ضلالهم فيها، وإبطال تأويلهم لها، ولما رددت على مسيحهم في زمنه أجاب عنها في الكتاب الذي ألفه في الرد والانتقام مني، وفي كتب أخرى من كتبه المضحكة المبكية، وقد نقل الحصني الدمشقي بعض كلامه مترجمًا عن كتاب له بغير العربية، وسأبين ذلك في النبذة التالية بما يدل على جهل مسيحهم وجهلهم، ومما قاله داعيتهم في محطة لكهنؤ: إن المسيح عيسى ابن مريم قد توفاه الله، وثبت وجود قبره في كشمير، فوجب أن يكون المسيح الذي ينزل في آخر الزمان غيره. فاكتفيت من الرد عليه في ذلك الوقت القصير بأن قولهم هذا لا يقتضي أن يكون ميرزا غلام أحمد القادياني هو المسيح الموعود به. والمراد من ذكر هذه المسألة أن ما زعمه الحصني من صدق قول مسيحهم عني (سيهزم فلا يرى) كذب فإنني ظهرت عليه في تفنيد دجله في عصره، وظهرت على خلفائه من بعده حتى في بلاده، ولا أزال ظاهرًا مبطلاً لدعوتهم، هادمًا لضلالتهم، ولله الحمد والمنة.

(٣)

٢ - نسخه للجهاد خدمة للإنكليز: لقد كان رد المنار على هذيان القادياني الدجال كشهاب ثاقب أتبعه، فخلب عقله وخبله، وأبكاه وململه، وكان نورًا مضيئًا لعلماء الهند وأصحاب الصحف المنشرة، فبادروا إلى نشره بالنص وبالترجمة، فبعثه ذلك على الرد عليه بكتابه الذي سماه (الهدى والتبصر لمن يرى) فتخبط فيه تخبط المصروع، وتململ تململ الملسوع، وجاء بما لا يسمن ولا يغني من جوع، بل يظل المتغذي به في جوع ويقوع وهقوع، تارة يمدح وأخرى يذم، وطورًا يفترض ويظن وآنًا يجزم، وإن من المرعى ما يقتل حبطًا أو يلم، فلفق وحيه الشيطاني في الرد عليّ، وأمواج الشكوك تتقاذفه في سبب ردي عليه، وإني أبدأ الكلام في مسألة الجهاد، بعبارته في سياق هذا التردد والترداد، وهذا نصه: (ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الأوقات أن من الممكن أن يكون

مدير المنار بريئًا من هذه الإلزامات، ويمكن أنه ما عمد إلى الاحتقار والنطح كالعجماوات، بل أراد أن يعصم كلام الله من صغار المضاهات[1] وإنما الأعمال بالنيات. فإن كان هذا هو الحق فلا شك أنه ادَّخر لنفسه بهذه المقالات كثيرًا من الدرجات؛ فإن حب كلام الله يُدخل في الجنة ويكون عاصمًا كالجنة، وأي ذنب على الذي سبني لحماية الفرقان، لا للاحتقار وكسر الشبان، ونحا به منحى نصرة الدين، لا لظى التحقير والتوهين. وهل هو في ذلك إلا بمنزلة حماة الإسلام، والداعين إلى عزة كلام الله العلام، الذي هو ملك الكلام، والله يعلم السر وما أخفى، ولكل امرئ ما نوى). اهـ.

ثم عقد في الكتاب فصلاً في ذم علماء زمانه؛ لأنهم لم يؤمنوا بأنه المهدي والمسيح المنتظر قال فيه ما نصه: (وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذي هو نازل من السماء، ولا يتصدوا له بالمراء، فما أطاعوا أمر الله الودود، بل إذا ظهر فيهم المسيح الموعود، فكفروا به كأنهم اليهود. وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب، وعند تقليب الإسلام كل التقليب، فهل اتبع العلماء هذا المسيح؟ كلا، بل أكفروه وأظهروا الكفر القبيح، وأصروا على الأباطيل وخدموا القسوس، فأخذهم القسوس وشجوا الرؤوس وأذاقوهم ما يذيقون المحبوس، فرأوا اليوم المنحوس. سيقول السفهاء: إن الدولة البريطانية أعانت القسيسين ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين، لينصروا المسلمين، فما جريمة العالمين؟ والأمر ليس كذلك، والعلماء ليسوا بمعذورين، فإن الدولة ما نصر القسوس بأموالها، ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أزيد منكم ليرتاب من كان من المرتابين، بل أشاعت قانونًا سواء بيننا وبينهم، ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين. أتريدون أن تسيئوا إلى قوم هم أحسنوا إليكم، والله لا يحب الكافرين الغامطين، ومن إحسانهم أنكم تعيشون بالأمن والأمان، وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة في هذه البلدان. وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران، وإن ليلكم أقرب إلى الأمن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان، ومن الدولة حفظة عليكم لتعصموا من اللصوص وأهل العدوان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. إنا رأينا من قبلها زمانًا موجعًا من دونه الحطمة، واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقطف من ثمارها، ونأوي إلى أشجارها، ولذلك قلت غير مرة: إن الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم، وكيف يؤذي المحسن مَن هو كريم، ومَن آذى محسنه فهو لئيم).

(٤)

نقلنا في النبذة الثالثة من هذا الرد بعض نصوص القادياني في مسألة نسخ الجهاد وما فيها من إطراء الإنكليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على المسلمين، وتحريم جهادهم من كتابه (الهدى والتبصرة لمن يرى) الذي ألفه للرد على صاحب المنار.

وقد أيد هذا في مواضع أخرى من كتبه محتجًّا بأن الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح؛ إذ زالت به غربة الإسلام وضعفه وانتصر أهله على النصارى المعبر عنهم عنده بيأجوج ومأجوج، وحصل كل ما ورد أنه يحصل بظهور المهدي والمسيح من عزة الإسلام، والقضاء على أعدائه الكافرين.

---

(١) وأظن أنه استشاط من منع الجهاد ووضع الحرب والسيوف الحِدَاد، وأن الوقت وقت إراءة الآيات لا زمان سلال مرهفات، ولا سيف إلا سيف الحجج والبينات، فلا شك أن الحرب لإعلاء الدين في هذه الأوقات من أشنع الجهالات، ولا إكراه في الدين؛ كما لا يخفى على ذوي الحصاة – منه.

ومن ذلك ما فصله في أواخر خطبة له سماها (خطبة إلهامية) وزعم أنها من معجزاته، فإنه بعد أن زعم أن الذلة التي أصابت الملة الإسلامية في عصره ما أصابتها من قبل ولن تصيبها إلى يوم الدين قال: (فعند ذلك تنزل النصرة من السماء، ومعالم العزة من حضرة الكبرياء، من غير سيف ولا سنان ولا محاربين[1] وإليه إشارة في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩] وهو مراد من بعث المسيح الموعود يا معشر العاقلين[2] وفي لفظ النزول الذي جاء في الأحاديث إيماء إلى أن الأمر والنصر ينزل كله من السماء في أيام المسيح من غير توسل أيدي الإنسان ومن غير جهاد المجاهدين.. إلخ. اهـ بحروفه.

وكنت أريد أن أبحث في كتبه على نصوص أخرى في هذا الموضوع فراجعت بعض ما عندي منها على كثرة شواغلي في هذه السنة فشغلني عن مسألة الجهاد ما رأيته فيها من الجهالات السخيفة في الاستدلال على كونه هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود به، وغرائب تحريفه لآيات القرآن والأحاديث الواردة في هذه المسألة. ومنها ما كنت رأيته ونسيت تفصيله ومنها ما لم أكن قرأته، فإن ذا المعرفة الفنية والملكة الذوقية في اللغة العربية يمل ويسأم وتفنى نفسه من أسجاعه المتكلَّفة التي حاول بها محاكاة فواصل القرآن، على ما فيها من الأغلاط النحوية والصرفية، دعْ قواعد المعاني والبيان. وهو لعراقته في الجهل باللغة لا يستحيي من الاستدلال على مسيحيته بسورة الفاتحة وبسورة العصر، وبآيات كثيرة من القرآن، ليس فيها أدنى إشارة إلى هذا الشأن، كما رأى القارئ فيما نقلناه آنفًا من خطبته الإلهامية وحواشيها الجهلية! وكذلك يحمل على شخصه جميع الأحاديث الواردة بشأن عيسى عليه السلام ومن أغربها قوله في حاشية ص ٩١ من التبصرة: (أول بلدة بايعني الناس فيها اسمها لدهيانة، وهي أول أرض قامت الأشرار فيها للإهانة، فلما كانت بيعت (كذا) المخلصين، حربة لقتل الدجال اللعين، بإشاعات الحق المبين. أشير في الحديث أن المسيح يقتل الدجال على باب اللُّدّ بالضربة الواحدة – فاللد ملخص من لفظ لدهيانة – كما لا يخفى على ذوي الفطنة)! اهـ بحروفه. ومعلوم أن (اللد) اسم مدينة في فلسطين. فزعم هو أن المراد بها بلدة لدهيانة في الهند وأن معنى لفظ الدجال مخالفة أعدائه. وأن الحربة مبايعة المغرورين به له. وكان أتباعه يقبلون مثل هذا منه لجهلهم باللغة العربية وأما الآن فقد صار لهم جمعية غنية يعتصمون بها لمنافعها. وقد ظهر لمتقني هذه اللغة بعده مقدار جهله وسخفه وهوسه العقلي في دعواه فمنهم من ترك ضلالته، ومنهم من اعتدلوا في دعاويهم فيه. وإنما يصر عليها الجاهلون، ويؤْثِر الانتفاع الطامعون الجشعون. ولله في خلقه شؤون.

---

(١) إن عيسى ابن مريم ما قاتل وما أمر بالقتال، فكذلك المسيح الموعود فإنه على نموذجه من الله ذي الجلال، والسر فيه أن الله أراد أن يرسل خاتم خلفاء بني إسرائيل وخاتم خلفاء الإسلام، من غير السنان والحسام؛ ليزيل شبهات نشأت من قبل في طبائع العوام، وليعلم الناس أن إشاعة الدين بأمر من الله لا بضرب الأعناق وقتل الأقوام، ثم لما كان اليهود في وقت عيسى والمسلمون في وقت المسيح الموعود، قد خرج أكثرهم من التقوى وعصوا أحكام الرب الودود، فكان بعيدًا عن الحكمة الإلهية أن يقتل الكافرين لهذه الفاسقين، فتدبر حق التدبر ولا تكن من الغافلين. اهـ بنصه وإملائه السخيفين وهو يزعم أنه وحي من الله.

(٢) وكذلك أشير إلى المسيح الموعود في الكتاب الكريم أعني في سورة التحريم وهو قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] ولا شك أن المراد من الروح ههنا عيسى ابن مريم فحاصل الآية أن الله وعد أنه يجعل أخشى الناس من هذه الأمة مسيح ابن مريم وينفخ فيه روحه بطريق البروز فهذه وعد من الله في صورة المثل لأتقى الناس من المسلمين فانظر كيف سمى الله بعض أفراد هذه الأمة عيسى ابن مريم ولا تكن من الجاهلين. اهـ بحروفه وإملائه الكثيري الأغلاط أيضًا.

من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران (٧): عبد الله عزام يفضح خيانة إيران والشيعة للجهاد الأفغاني

أسامة شحادة – خاص بـ «الراصد»

تمهيد:

ضمن محاولات إيران المستمرة لتزعم العالم الإسلامي عبر بث الأكاذيب والقصص الملفقة، قامت وكالة أنباء فارس بنشر تصريح في ٦/ ٦/ ٢٠١١م، لمحمد مختار مفلح زعيم «حزب النهضة» وهو حزب شيعي أفغاني، عنونته بـ«الإمام الخميني هو القائد المعنوي لجهاد أفغانستان» قال فيه: «لو كان الإمام على قيد الحياة بعد انتصار المجاهدين لما شاهدنا كل هذه المصائب».

ولكشف حقيقة الموقف الشيعي الأفغاني والشيعي الإيراني من الجهاد الأفغاني، أقدم للقراء الكرام شهادة الشيخ عبدالله عزام رحمه الله، وهو الرجل الذي عاصر الجهاد الأفغاني ودخل في أدق تفاصيله، وذلك بحسب ما جاء في مقابلاته الصحفية حول الجهاد الأفغاني والتي نشرتها بعد وفاته لجنة تحقيق تراثه بمكتب خدمات المجاهدين ببيشاور، وهو المكتب الذي أسسه الشيخ بنفسه، تحت عنوان «الأسئلة والأجوبة الجهادية»، وهي منشورة على شبكة الإنترنت.

وألحقت بتصريحات الشيخ عبدالله عزام، تجربة عبدالله أنس والذي كان أحد الأعضاء البارزين في مكتب الخدمات، ونسيب الشيخ عزام.

شهادة الشيخ عبدالله عزام:

١ – من أسئلة وأجوبة مسجد كاليفورنيا (٢) (سنة ١٩٨٨)

س: هل إيران قدمت أي مساعدات (لأفغانستان)؟

ج: لا.

٢ – مقابلة مع صحفي تركي بتاريخ ٣/ ٣/ ١٩٨٩

س: هناك القادة السبعة مختلفون في أفغانستان فكيف نستطيع أن نوحد المسلمين في العالم؟

ج: ..... إيران ترتجف من قيام دولة إسلامية سنية صحيحة في أفغانستان لأنها ستكشف زيف الشيعة في إيران، فعندما يقارن الناس بين أفغانستان المسلمة وبين وإيران المسلمة سيظهر أن هؤلاء يكذبون على الله عز وجل – الإيرانيون –.

س: بعد أن اتفق المجاهدون في الشورى في إسلام آباد على حكومة مؤقتة، لماذا بعد ذلك اختلفوا؟ وماذا كان موقف إيران معهم؟!

ج: موقف إيران سيء جداً، لم يعطوهم قطعة سلاح واحدة، لم يسمحوا لكثير من المجاهدين أن يمروا من إيران ليوصلوا الطعام إلى هرات...

س: لماذا؟

ج: لأنهم يكرهون أن تقوم دولة سنية بجانبهم فتوقف المد الشيعي في المنطقة، إيران تحلم بأن تكون إمبراطورية شيعية تمتد من إيران عبر باكستان ثم العراق ثم سوريا ثم لبنان ثم جنوب تركيا، جنوب تركيا فيه نصيريون، هؤلاء سيقفون مع إيران في المستقبل، باطنيون نصيريون، سوريا نصيريون، في لبنان أمل وحزب الله، في العراق عملوا هذه الحرب لإسقاط صدام واستلام العراق وإعلان الدولة الشيعية، إيران وحوالي عشرة إلى ثلاثة عشر مليون شيعي في باكستان يحلمون أن يكونوا إمبراطورية شيعية كبرى، ما الذي يوقف أحلامهم؟ ويوقف تقدمهم؟ دولة سنية قوية في المنطقة، أين هذه الدولة في أفغانستان، إذن هم يكرهون أن تقوم دولة سنية قوية بجانبهم.

ثانياً: كانت إيران تحلم وتظن أن الجهاد سيسقط وتقتسم أفغانستان، ولعل روسيا وعدتها إذا وقفت جيداً ضد الجهاد الأفغاني ولم تساعد الجهاد الأفغاني أن تقسم أفغانستان، هي تأخذ القسم الشمالي، والجزء الجنوبي يبقى دولة ميتة، والجزء الغربي يعطى لإيران.

كان الآن عندي قائد، قال: الجاكيتات والأحذية والطعام اشتريناه من باكستان وأوصلناه إلى رباط، استولت عليه حكومة إيران وأخذته.

أنا أرسلت مساعدات إلى هرات عن طريق رباط، أربعة أشهر أوقفوها على حدود إيران، لم يسمحوا للأحذية والجاكيتات أن تدخل للمجاهدين الذين يموتون من البرد، لماذا؟! قالوا هذه صناعة أمريكية!! قلنا لهم: هذه مصنوعة في باكستان. قالوا: هؤلاء عملاء أمريكا!!!!

ولذلك الآن في داخل إيران هنا مخيم للمهاجرين وهنا مخيم للمهاجرين، هنا رجل اسمه محمد وهنا امرأة اسمها عائشة، أخته أو خديجة اخته، خديجة أخت محمد، بينهما ثلاثة كيلومترات لا يسمحوا لمحمد أن يزور أخته خديجة إلا إذا أخذ تصريحاً من الحكومة ليزور أخته خديجة!! ممنوع بقرار من الدولة أن يوظف أي أفغاني حتى في الدكاكين والحوانيت والمطاعم والفنادق ممنوع، وأي واحد أفغاني يجدونه يشتغل في مطعم، يدفع صاحب المطعم الإيراني غرامة لدولة إيران أربعين ألف تومان. هم يحتقرون الأفغان وينظرون إليهم من عل، بل بعض الجرائد كتبت، لا تدخل الأفغاني إلى مطعمك ولا فندقك ولا حانوتك، لأنهم قذرون ولأنهم مصابون بالأمراض السارية، فتصيبكم الأمراض، فهم من الأول وقفوا موقفا سيئاً، عندما كاد الجهاد ينتصر تفرغت إيران من حرب العراق حتى تتدخل في أفغانستان، أمريكا تحركها الآن، هم يقولون نحن ضد أمريكا؟!! كذبوا.. وقد كذبوا. **هم الآن نفس الخطة الغربية الأمريكية الإيرانية محاولة منع قيام دولة إسلامية في أفغانستان، ولذلك عندما عرضوا على المجاهدين قالوا لهم نحن ثلث أفغانستان، الشيعة يقولون نحن ثلث أفغانستان. قالوا لهم: من أين لكم هذا؟ إحصائية الأمم المتحدة تقول أن نسبة الشيعة في أفغانستان ٨٪ فقط.** قال لهم مجلس الشورى: سنعطيكم كما أعطاكم ظاهر شاه، كم كان عددكم في مجلس الشورى في عهد ظاهر شاه، مجلس الشورى عند ظاهر شاه كان مائتان وخمسون وكنتم أربعة عشر سنعطيكم في الخمسمائة ثمانية وعشرين مقعداً. قالوا: لا نحن ثلث السكان.

قالوا: سنعاملكم كما تعاملون أهل السنة عندكم في

إيران، بقدر الوزراء في دولة إيران من أهل السنة سنعطي الشيعة وزراء في دولة أفغانستان، فإذا لم يكن هنالك وزير واحد من أهل السنة في دولة إيران كيف تطالبون بسبع وزراء في داخل دولتنا؟!، بينما السنة في إيران ٤٥٪ قريب من النصف، ومع ذلك ليس لهم وزير واحد، ولا وكيل وزارة ولا رئيس مؤسسة، فعلى أي أساس تطالبون بسبع وزراء من ٢٨ وزيرا وتطالبون بمائة مقعد؟! (ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون).

٣- مقابلة مع مجلة الصحوة (٢)

س: سؤال صغير عن الشيعه ثم فقرة الدول المحيطة بأفغانستان وما دورها؟

ج: بالنسبة للسؤال الصغير عن الشيعه: وأنا في طريقي للداخل أحسست بكره من الشيعة في منطقة بارا نار وصدا.

س: من الذي يلعب هذا الدور؟ ومن وراءه؟ هل هي روسيا أو هي فقط العقيدة الشيعية أم هما الإثنان معا؟

ج: الإثنان معاً، الحقيقة الشيعة في معظمهم يكرهون الجهاد الأفغاني، الشيعة الأفغانيون رغم أن الشيعي الأفغاني الأصل أن يكون قومياً، شيعيته قومية إلا أنهم تجد في مناطق كثيرة لم يقاتلوا حتى الآن الروس، ولم تضرب قراهم حتى الآن، لم يقاتلوا هنالك قسم من الشيعة قاتل روسيا وقسم لم يقاتل، لم تضرب قراهم، يعني هناك علاقة بينهم وبين روسيا طبعاً، يعني هي مقايضات ومعادلات لا تضربونا ولا نقوم ضدكم.

س: تكلمنا عن باكستان ما فيه الكفاية كدولة حدودية، تبقى على ما أعتقد الجمهوريات الإسلامية المحيطة ككل، يعني القريبة من أفغانستان ككل، والجمهوريات الإسلامية الروسية على حدود أفغانستان، ويبقى إيران، الدولة الأخرى، ما هو دور هذه وما دور الأخرى، تكلم عنها براحتك؟

ج: .. إيران لها حدود (٨٥٠) كيلو متر تقريبا على حدود أفغانستان مع أفغانستان وهنالك ثلاثة مناطق كبرى: هرات، فراه، نيمروز، هذه المناطق الغربية من أفغانستان المتاخمة لإيران. هذه المناطق منطقة هرات مثلا سهل قراها تكاد تكون مدمرة نهائيا بالطائرات والدبابات الروسية، القرى الأفغانية، ومع ذلك المجاهدون يسيطرون ولا زال المجاهدون في القرى المهدمة يعيشون في البيوت المهدمة ويقاتلون من وراء كثبان الطين والحجارة التي هي ركام تهديم الطائرات، هذه المناطق كلها سنية والحمد لله. إيران تضيّق عليهم كثيراً. الحقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله، **يعني لو قارنا بين موقف باكستان وموقف إيران، موقف باكستان يبقى أفضل بكثير من نصيرة المستضعفين إيران**، هل يوجد مستضعفون في الأرض أكثر من الأفغانيين؟ ومع ذلك يخنقونهم! هل تعلم أن سلاحاً من الحج الماضي، - الآن نحن على أبواب الحج من الحج الماضي- محجوز في إيران، سلاح اشتراه أو أخذه أو جمعه المجاهدون الأفغان وأدخلوه إلى إيران ليدخلوه إلى أفغانستان إلى هرات من الحج الماضي حتى الآن هذه الآن أحد عشر شهرا تقريبا وهو محجوز في قبضة الحكومة الإيرانية.

س: وهذا كله وراءه دوافع عقائدية أم دوافع سياسية أم الإثنان معا؟

ج: **الدافع الأول هو الكره الشيعي للمسلمين**، يا أخي

الكريم ضربت فراه في هذا الشهر، حوصرت بخمسمائة دبابة روسية وحوالي ثلاثين طائرة اشتركت في المعركة، قالوا لإيران أعطونا السلاح الذي عندكم؟ هل تريدون يوماً نحن نحتاج فيه إلى هذا السلاح أكثر من هذا اليوم؟ قالوا: لا نحن لا ندري أين تستعملونه؟ قالوا: أنتم تعلمون أننا سنستعمله ضد الروس، لا زال محجوزاً، الأحذية، الجاكيتات التي نأخذها من هنا من لجنة الإغاثة السعودية أو من الهلال الأحمر الكويتي تمكث في إيران أربعة أشهر حتى يسمح لها إذا سمح لأبوات مصنوعة في باكستان – باتا– يشترونها من هنا على حدود إيران يوقفونها قال: هذه صناعة أمريكية نحن لا نسمح بدخول الصناعات الأمريكية.

الآن يريدون أن يجعلوا سياجاً شائكاً على طول الحدود الإيرانية الأفغانية حتى يمنعوا دخول المهاجرين الأفغان إلى إيران، سياج شائك على طول الحدود، على طول (٨٠٠) كيلو متر.

س: هل الحدود الإيرانية المتاخمة لأفغانستان سنة أم شيعة؟

ج: الإيرانية شيعة زاهدان ومشهد، شيعة والحدود الأفغانية سنة، يا أخي يذلونهم ذلاً عجيباً إذلال عجيب، عندما يصل الحدودَ الرجل مع زوجته، يأخذون المرأة ويأخذون الرجل كل واحد إلى جهة لا يعلم أين صاحبه مدة أسبوع وبعد ذلك يرجعونهم إلى بعضهم، لا تدري ماذا فعلوا بالرجل وماذا فعلوا بالمرأة، مكتوب على أبواب بعض الأفران لا يباع الخبز للأفغانيين، وهناك أشياء أنا أستحي أن أذكرها.

جاءني أناس من القادة هنا في بيشاور من المنطقة الغربية من أفغانستان، يطلبون المساعدات، قلت لهم: هل يمكن أن نعرف ما هي حالتكم وما هو واقعكم وما هي احتياجاتكم وما هي مشاكلكم؟ قدموا لي تقريرا، التقرير يصف المشاكل مع إيران قسم من المشاكل يصفون إيران، أعطوني الورقة وجلسوا أمامي باللغة العربية قالوا: وإنا لنستحيي أن نذكر وفتحوا قوس أنهم يضعون الخشبة في عورة النساء، قلت لهم: أي خشبة هذه؟ قالوا: كل أفغاني يدخل عن طريقهم إن لم يتجاوز بطريق الرشوة أو بغير ذلك لابد أن يدخلوا عوداً في دبره وعوداً في قبل زوجته، مهما كان الداعي، هم يقولون من أجل الأمراض السارية لكن هم يعلمون أن عنوان حياة الأفغاني ورمز جهاده هو عزته فيريدون أن يذلوهم!!! قالوا: يعطونه خشبة ليضعها في دبره ويسلمهم إياها والمرأة يعطونها أمام الشرطي في نفس الغرفة تضع عوداً في قبلها.

لكن هذا حقد، حقد لا يفسر إلا الحقد، والله ذهلت، وإثنان من القيادة ومن الأصفياء الأتقياء الذين نظنهم كذلك يعني ليسوا أناسا عاديين وهنالك أكثر من واحد قتل إيرانيين بسبب أنهم اعتدوا على زوجته ثم قال لقد هربت من الشيوعية بزوجتي وعرضي فإذا انتهك عرضي في بلد يسمى إسلامي يقتل الإيرانيين ثم ينضم إلى الدولة الشيوعية، يهرب إلى الدولة الشيوعية ويعود إلى أفغانستان، وهنالك قامت اشتباكات اشترك فيها مئات من الأفغانيين والإيرانيين في مشهد على امرأة – في حمام– أفغانية دخلوا عليها واعتدوا على عرضها في الحمام.

لا يجوز للأفغاني أن ينتقل من مخيم إلى آخر إلا بتصريح من الدولة، لا يجوز للأفغانيين أن يفتحوا مدارس لأبنائهم في مخيماتم رغم أن في إيران حوالي مليون ونصف

أفغاني!! هنالك كثير من الجرحى منعوا من الدخول إلى إيران إلى المستشفيات الإيرانية!! الحقيقة موقف مؤلم جدا جدا جدا ، **لماذا؟ قلت لك: حقد عمره ١٤ قرناً لا تستطيع أن تستله بكلمات لطيفة وبمعاملات ودية هذه واحدة.**

الشيء الثاني: هنالك بعض المراقبين السياسيين يقولون: إن إيران تريد أن تضعف هذه المنطقة عسكرياً وبشرياً واقتصادياً، لماذا؟ لأنها تطمع أن يسقط الجهاد الأفغاني ستقتسم أفغانستان فيكون نصيبها الجزء الغربي؛ هرات، فراه، نمروز، ثم هذه المناطق تريد أن تضعفها لكي تكون أمام المد الشيعي ضعيفة، **إنهم يزاولون الدعوة إلى التشيع في داخل قواعد المجاهدين الأفغان في داخل أفغانستان، حزب الله يدخل ليزاول عملية التشيع ليس غصباً عنهم لكن يستغلون ضعفهم وحاجتهم لدخولهم إيران، فعندما ثار المجاهدون الأفغان في وجه هذا الغزو الشيعي بدأوا يضيقون عليهم كانوا يعطونهم في بداية الأمر عشر قطع كلاشنكوف ليحملوا مقابلها خمسين قطعة كلاشنكوف لحزب الله الشيعي في داخل أفغانستان مفهوم؟!** يعني يعطون بعض المجاهدين عشر قطع بشرط أن تأخذوا خمسين قطعة للشيعة في الداخل، والشيعة متركزون في الوسط في باميان، يسمونهم هزاره، **المهاجرون الأفغان في إيران يحتاجون إلى عملية إنقاذ سريع من الموت، من التشيع، من الجوع، من الحريق..**

س: هل إيران تجبر المهاجرين الأفغان على حدودها أن يشتركوا في حرب الخليج؟

ج: **نعم من بعض القادة أنها تأخذ بعض الشيعة الأفغان لكي ترسلهم يقاتلون مع إيران حتى تستفيد من ناحيتين، الناحية الأولى: إيقاع الخلاف بين العرب وبين الأفغان أنهم يقاتلون العرب. ثانياً: إثبات أن العقيدة الشيعية وحدة واحدة.**

شهادة عبدالله أنس:

كتب عبدالله أنس في كتابه «الأفغان العرب»[1] عن تجربته الشخصية مع شيعة أفغانستان سنة ١٩٨٣م، بعد قيام الثورة الخمينية والاجتياح الروسي لأفغانستان بأربع سنوات، وعبدالله أنس هو أحد القيادات الإسلامية في الجزائر والمحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين، وهو أيضاً من قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، كما أنه متزوج بابنة الشيخ عبدالله عزام.

يقول عبدالله أنس، في ص ٢٣: «في الطريق إلى مزار الشريف، دخلنا منطقة تدعى هزارجاد، وهي للشيعة في وسط أفغانستان. أذكر أنني لم أكن أعرف الفارسية بعد، وكان معنا مترجم هو نفسه بحاجة إلى من يترجم له لكي يفهم علينا ويفهمنا ماذا يحصل. كان يسألنا، مثلاً: هل تريدون تخماً (بيضاً)؟ لكننا لم نكن نفهم ماذا يقصد.

في هزارجاد، أخذني جانباً قائد القافلة.. وكلمني بحكم أنني «أمير» الأخوة العرب. قال: في هذه المناطق عليكم لمدة ثلاثة أيام أن تسيروا بلا كلام. لابد من أن تغيروا أيضاً القبعات التي على رؤوسكم وتضعوا عمائم محلها. وعلى رغم صعوبة الفهم بيننا، إذ إنه لا يعرف العربية جيداً ونحن لا نعرف لغته، لكننا فهمنا أن هناك رسالة يريدنا أن نستوعبها وهي ليست في مصلحتنا. وبالتكرار، فهمنا أنه يقول لنا أننا الآن في مناطق الشيعة والسكان لا يحبوننا، وأنهم لو عرفوا

---

(١) «الأفغان العرب» تأليف عبدالله أنس، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٢.

أننا من العرب فسيعطلون القافلة بسببنا.

وحتى الآن، لا أفهم ذلك التغيير، لماذا كانوا يريدون فعل ذلك بنا، إذ كنا قبل دخولنا مناطق الشيعة نشتري رغيف الخبز بثلاث روبيات، أي أقل بكثير من بنس أمريكي واحد. لكننا عندما دخلنا مناطق هزارجاد صرنا نشتري رغيف الخبز بثلاثين روبية. عجبنا لذلك، عجبنا أيضاً عندما رأينا هذه المناطق خضراء والورشات فيها مفتوحة والحياة فيها تدب، في حين تعاني بقية مناطق أفغانستان من الدمار..

على أية حال، كنا نسير في تلك المناطق ونحن صامتون. ثلاثة أيام كنا طوالها مثل «الأطرش بالزفة»، لا نعرف ما الذي يدور حولنا. كنا نتناول عشاءنا الأخير في هزارجاد، كان الوقت ليلاً عندما وصلت فرقة تفتيش إلى المطعم.. توجهت مجموعة المفتشين، وهم من القادة المحليين المسؤولين عن تلك المنطقة، إلى قائد القافلة وسألته: «هل معكم أجانب هنا؟»، قال: ليس بيننا أجانب، قالوا له: بينكم أجانب. اقتربوا مني وقالوا: تكلم بالفارسية.

التزمت الصمت. فعرفوا أنني أجنبي، وطلبوا مني أن أسير معهم. سرنا قرابة عشر دقائق. أدخلوني إلى مركز قيادتهم. رأيت شباباً من الهزارة الشيعة وعلى الحائط وراءهم صورة ضخمة للإمام الخميني تغطي الحائط كله. قال لي واحد منهم وكان يتكلم العربية وأعتقد أنه قائدهم، إذ جلس في صدر المجلس والناس تقف إلى يمينه وشماله: من أين أنت. قالها باللهجة المفخمة. أجبته: أنا جزائري. فسألني: كيف تدخل أفغانستان من دون تأشيرة؟ قلت له: لا أعرف أنني أحتاج إلى تأشيرة. ففي أفغانستان نظام خاضع للروس، وشعب أفغاني يقاوم ليحرر أرضه. ونحن دخلنا مع هؤلاء الذين يريدون تحرير أرضهم. لم أعرف أن علي أن أحصل على تأشيرة منكم أيضاً. فقال: لا بد لك من أن تحصل على تأشيرة لتدخل أفغانستان، ولا بد لك من إذن حتى تدخل مناطقنا. فقلت له: حصل ما حصل، فماذا علي أن أفعل الآن؟ قال: لابد من أن ننظر في أمرك.

شعرت بأن الأمر قد يزاد تعقيداً ولن يستطيع المجاهدون نصرتي، إذ عليهم أن يسيروا في منطقة هزارجاد قرابة سبعة أيام قبل الوصول إلى منطقة لا تخضع للهزارة، وبالتالي، فإن قافلتنا، وإن ضمت ٣٠٠ مقاتل، إلا أنها لا يمكنها أن تنصرني لأنها ستخسر المعركة في النهاية. إذ يمكن أن يقطع الهزارة الطريق ويحاصرون القافلة...

فكرت في الأمر. ألهمني الله أن أقول لقائد الهزارة: حسناً قبل أن آتي إلى أفغانستان كنت في الجزائر، وهناك كنا نقرأ أن الإمام الخميني إمام المستضعفين. وأنا إنسان مستضعف الآن. كنت أظن أنني سأكون ضيفاً على الشعب الأفغاني، لكن مقابلتك هذه صدمتني. وبعد ذلك، لان الجو. وقال لي: اذهب خلاص. أكمل طريقك مع القافلة». أ.هـ

هذه هي حقيقة الموقف الشيعي والإيراني من الجهاد الأفغاني، وهو موقف خياني وطائفي بامتياز، وقد تكرر في أكثر من مرحلة، فهي نفس المواقف الخيانية تجاه مجزرة حماة على يد نظام حافظ الأسد، ومذابح المخيمات الفلسطينية في لبنان على يد حركة أمل، والإبادة التي تعرض لها فلسطينيو العراق وسنة العراق على يد الميليشيات الشيعية من جيش المهدي وقوات بدر، وهي نفس الخيانة التي يتعرض لها الشعب السوري اليوم من حزب الله وإيران بدعم النظام السوري في قتل وإبادة شعبه!! فمتى تصحو بعض القيادات الإسلامية؟؟



العلاقات العربية الإيرانية في مرحلة ما بعد الخمينية

بوزيدي يحيى- خاص بالراصد

رغم تعقيدات المشهد السياسي في إيران إلا أن معظم المراقبين والمهتمين بالشأن الإيراني يعتقدون بوجود تيارين رئيسين هما التيار المحافظ والتيار الإصلاحي، مع تنبيههم على وجود اتجاهات متباينة داخل التيار الواحد.

وقد شكل صعود التيار الإصلاحي خاصة بعد وصول الرئيس محمد خاتمي إلى رئاسة الجمهورية عام ١٩٩٧م مرحلة جديدة في العلاقات العربية الإيرانية، تبنّت فيها طهران خطاباً فيه مرونة أكثر مع العالم العربي والغربي، وكان له انعكاسات إيجابية تجسدت في العديد من الاتفاقيات الاقتصادية والزيارات العديدة المتبادلة بين الطرفين، ولكن هذا التحسن سرعان ما عاد إلى المربع الأول بعد وصول الرئيس المحافظ محمود أحمدي نجاد عام ٢٠٠٥ إلى السلطة وتبنيه خطاباً لا يقل تشدداً عن خطاب الخميني.

وفي ظل ما تشهده الساحة السياسية الإيرانية اليوم من صراع داخل معسكر المحافظين بين تيار أحمدي نجاد وتيار المرشد علي خامنئي[١]، تتباين المواقف تجاه هذا الصراع فبعض المراقبين والمحللين الذين يرفضون فكرة الخطر الإيراني يعتقدون أن التيار المحافظ على علاته أخف ضرراً من تيار الإصلاحيين بحجة أن التيار الإصلاحي يميل في طروحاته إلى المعسكر الغربي، ونظراً لوجود قوميين متشددين بين مكوناته فهو أكثر عداءً للعرب أيديولوجيا، على عكس التيار المحافظ المعادي للغرب!!

ومن هؤلاء د. محمد الأحمري، ففي حواره مع جريدة العرب القطرية[٢] يرى أنه «كلما تأخرت تنحية خط نجاد جاء نظام مغاير تماماً لما يمثله خط نجاد، يعني هذا أنه سوف يأتي خط أكثر ليبرالية وأكثر قومية، وفي الغالب هذا هو الخط والتغيير القادم في الحكومة والشعب الإيراني».

ويضيف «أنه من آثار ذلك الانقلاب القادم في التوجه السياسي والفكري هو انتقال إيران من المعسكر العربي الإسلامي وقضاياه إلى تيار غربي قومي فارسي يحاول أن يسيطر على الخليج من منطلق قومي، وسيكون قريبا للغرب وأكثر تحالفاً مع إسرائيل، والآن في إيران هناك دعوات لوقف الدعم الإيراني للقضايا العربية، وهي

(١) فيما يمكن أن نسميه بالفتنة المشائية، نسبة لصهر الرئيس ومستشاره أسفنديار رحيم مشائي، والذي قال عنه آية الله مصباح يزدي: أن الرئيس واقع تحت تأثيره فيما يشبه بالتنويم المغناطيسي وهو أمر مثير للغرابة والتعجب.

(٢) ١٥/٥/٢٠١١.

التي كانت تدعم القضايا العربية لمصلحتها، بل وتوجهات وخلافات داخل الحكومة كالتي ظهرت أخيراً تبين الخصام على الهوية الإيرانية والقيادة».

من هنا فإن الأحمري ومن يوافقه الرأي من الكُتاب يدعو العرب إلى مراجعة موقفهم من النظام الإيراني الحالي من منطلق أن ماهو قادم أكثر عداءً لهم، وهذا الطرح عليه الكثير من الملاحظات التي يتوجب التوقف عندها.

أولاً: الثابت والمتحول في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العرب

بإطلالة سريعة على مواقف الشاه والخميني تجاه القضايا العربية - باستثناء القضية الفلسطينية- فإنه يتبين للباحث وجود تطابق كامل في المواقف فيما قبل وما بعد الثورة، بداية من استمرار احتلال الأحواز والجزر الإماراتية الثلاث، والمطالبة بضم البحرين لإيران مرة أخرى إليها، والرغبة الواضحة والمعلنة في الهيمنة على المنطقة العربية، وإذا كان الشاه أراد أن يكون شرطي الخليج ويحيي أمجاد الساسانيين، فإن الخميني أراد أن يقوم بدور أكبر من ذلك بكثير، وهو دور الجندي الممهّد لعودة الإمام الغائب ليؤسس الدولة المهدوية العالمية بكل ما تحمله من مضامين دينية وتحديداً الموقف المعادي لأهل السنة والجماعة باعتبارهم أول عدو لآل البيت كما يزعمون، والذين يشكلون سكان معظم الدول العربية، لذا فإن عداء التيار المحافظ للغرب لا يعني بالضرورة حبهم أو صداقتهم للعرب، هذا إذا لم تكن درجة العداء للعرب لديهم أكبر منها للغرب كما أثبتته الوقائع، فقد تعاونت إيران مع الولايات المتحدة وإسرائيل من أجل تزويدها بالسلاح للاستمرار في الحرب ضد العراق، كما تعاونت معها فيما بعد من أجل احتلاله والسيطرة عليه.

ثانياً: استمرار استراتيجيات السيطرة والنفوذ

اعتمد الشاه بشكل أساسي لتحقيق أهدافه الاستراتيجية على التحالف مع الغرب وبناء قوة عسكرية كبيرة، أما نظام الملالي فلم يتوقف عند التسلح فقط كما كان يفعل الشاه، بل عمل على تثوير التجمعات الشيعية في دول العالم العربي لزعزعة أمنها واستقرارها وتفكيكها بقلب أنظمة الحكم فيها وإقامة جمهوريات إسلامية على غرار جمهوريتهم التابعة للولي الفقيه في طهران، كما هو حال حزب الله في لبنان الذي يعلنها صراحة ويهدد من ينتقدها بحجة أنها عقائد دينية يجب أن تحترم.

وبالفعل استطاعت طهران باعتمادها على هذه السياسات تحقيق العديد من المكاسب الاستراتيجية في أكثر من بلد عربي، استخدمتها بشكل جيد في المنطقة حيث جعلت منها طرفاً فاعلاً لا يمكن استثناؤه من أية تسوية لقضاياها، كما وظفتها كأوراق رابحة للمساومة بها في مفاوضاتها مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي حول ملفها النووي. وكل ذلك على حساب القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، إذ وجدت في دعمها لحركات المقاومة أفضل طريقة لكسب الرأي العام العربي، ما مكنها من توسيع نفوذها والتغطية على جرائمها في الداخل والخارج.

وبهذا فإن نظام الملالي تفوّق على الشاه حيث يستخدم ما بات يصطلح عليه في العلاقات الدولية بالقوة الناعمة وليس فقط القوة الخشنة مثل الشاه، وتجدر بنا الإشارة في هذا السياق إلى أن هذه السياسات استمرت خلال العقود الثلاثة الماضية وهي مدة كافية لتغييرها إذا سلمنا جدلاً أنها كانت نابعة في المرحلة الأولى عن حماس ثوري فقط،

ولكن تبني إيران دوماً لمواقف طائفية شيعية ومحاولتها توظيف الثورات العربية لتحقيق أهدافها كقلب النظام في البحرين لصالح القوى الشيعية المؤيدة لها، والتهديد باستعمال القوة بعد تدخل قوات درع الجزيرة هناك بطلب من الحكومة البحرينية وغيرها من السياسات تنفي ذلك وتؤكد استراتيجية الهيمنة عند المحافظين تحديداً.

وبالتالي فإن الحديث عن تيار قومي ليبرالي يسعى للهيمنة على الخليج العربي غير صحيح من حيث الآليات والوسائل وليس المبدأ، لأن نظام الملالي باستخدامه لشقي القوة الناعمة والخشنة استنفد كل وسائل السيطرة والنفوذ التي يمكن أن يلعبها لتحقيق أهدافه الاستراتيجية في منطقة الخليج، وعليه فأي نظام جيد لا يتوقع منه أن يفعل أكثر مما فعل الملالي، كما أن مواجهة الخطر الخارجي تكون بتقوية الجبهة الداخلية للدولة، هذه الجبهة التي أضعفتها استراتيجية تثوير الحركات الشيعية في الخليج العربي وليس هناك أخطر من محاولة تفكيك الدولة على هذه الأسس، من هنا فإن الصحيح هو أن ما فات هو الأسوأ و ليس ما سيأتي. وبغض النظر عن كل هذا فهل من المعقول أن يمد العرب أيديهم لنظام استعمل كل الوسائل لتصدير ثورته إليهم وزعزعة أمنهم واستقرارهم من أجل خطر محتمل أو مستبعد مع التقديرات التي تستبعد تغييراً طارئاً في إيران؟

ثالثاً: المصالح الدولية في المنطقة وهامش المناورة الإيراني

يمثل الخليج العربي منطقة جيوستراتيجية هامة جعلتها محط أنظار مختلف القوى الدولية ما يعني أن أي صفقة إيرانية غربية أو أمريكية ستكون محدودة، إذ تربط الولايات المتحدة بالكثير من الدول العربية علاقات اقتصادية جيدة لا يمكنها أن تستغني عنها من أجل إيران، وفي حالة ما إذا تغير النظام الإيراني بالشكل الذي يذهب إليه الأحمري فإن تحسين علاقاتها مع النظام الإيراني الجديد المحتمل لا يعني السماح له بتمرير نفوذه وأهدافه ومشاريعه في العالم العربي بشكل كامل، فضلاً عن استخدام القوة العسكرية التي سترفضها كل القوى الدولية التي لها مصالح كبيرة في المنطقة أيضاً، كما أن الموقف الخليجي من الأزمة في البحرين والذي وضع حد للمحاولات الإيرانية هناك حمل رسائل في كل الاتجاهات خاصة للطرفين الأمريكي والإيراني، بأن أمن دول مجلس التعاون خط أحمر لا يمكن تجاوزه إطلاقاً، وهذا نموذج مشجع يؤكد أهمية الاعتماد على الذات في الدفاع عن الأمن القومي الخليجي بشكل خاص والأمن القومي العربي بشكل عام.

رابعاً: الدور المصري القادم

التحول في السياسة الخارجية المصرية وعودتها للعب دورها الطبيعي في المحيط العربي سيقف أمام أي محاولات إيرانية تستهدف الأمن القومي الخليجي الذي هو جزء من الأمن القومي المصري كما صرح بذلك وزير الخارجية المصري نبيل العربي ورئيس وزرائها عصام شرف، وإذا كان مجرد عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين اصطدم بكثير من العراقيل وأُجِّل إلى وقت آخر خاصة بعد إعلان القاهرة عن طرد دبلوماسي إيراني بتهمة التجسس، فإن أي تصعيد إيراني أكبر تجاه دول الخليج العربي سيصطدم بموقف مصري معارض خاصة مع المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد المصري وحاجته الماسة للاستثمارات الخليجية فيه والتحويلات الكبيرة التي تقوم بها العمالة المصرية هناك إلى الداخل، وأي خطر

على الخليج ستكون له ارتدادات سلبية كبيرة على القاهرة. وحتى في حالة وصول تيار قومي ليبرالي إلى الحكم في إيران فإنه من المستبعد بشكل كامل أن يفتح على نفسه جبهات عديدة ولا شك أنه سيتجه إلى تحسين علاقاته مع كل دول العالم، والعربية منها ليست استثناءً من ذلك.

خامساً: الحل العسكري للقضايا العالقة بين الطرفين

يتبنى التيار الإصلاحي نفس المواقف المبدئية التي يتبناها التيار المحافظ من القضايا الخلافية مع دول الخليج العربي، فالإصلاحيون لم يتراجعوا عن هذه المواقف خلال فترة حكمهم ولا يمكن توقع ذلك من الحكام الجدد، ولكن الصحيح أيضا أن الإيرانيين تعلموا كثيراً من الحرب العراقية الإيرانية ويدركون أن القضايا الخلافية حول الجزر الإماراتية أو فارسية الخليج لا يمكن حسمها عسكرياً فلا يتوقع أن تشن إيران ما بعد الخمينية حرباً على دولة عربية، كما أن الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت لثماني سنوات استخلص منها الإيرانيون الكثير من الدروس والعبر، ومن جهة أخرى فإن أي نظام جديد ستكون أمامه تحديات داخلية كبيرة في مقدمتها تحسين المستوى المعيشي وتطوير الاقتصاد الإيراني، ولطهران أيضا مصالح اقتصادية كثيرة مع الدول العربية.

سادساً: الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي

غني عن التذكير أن موقف الشاه من الصراع العربي الإسرائيلي كان من بين أبرز أسباب سقوط نظام حكمه وفي نفس الوقت هو أحد أبرز ركائز مشروعية نظام الولي الفقيه، من هنا فإن أي نظام جديد في إيران لا يمكنه أن يغامر بتغيير موقفه من الصراع العربي الإسرائيلي والسير في الاتجاه المعاكس، وحتى إذا كان ذلك من بين مبادئه الأيديولوجية كتيار قومي ليبرالي فإنه بذلك سيمنح لما يمكن أن نسميه (استباقياً) أوراقا للثورة المضادة ولمؤيدي نظام الملالي على أساس أنهم تعرضوا لمؤامرة من طرف الولايات المتحدة لإجهاض مشروعهم، وهذه الجزئية لها وقعها في النفسية الفارسية، كما أن اللاعب الإيراني لا يمكنه الاستغناء عن كل أوراقه دفعة واحدة فقط من أجل تحسين علاقته مع الغرب، فعلى سبيل المثال لا الحصر تستمد إيران نفوذها في العراق من الأحزاب الشيعية الموالية لها ولنا أن نتصور حجم الخسائر الاستراتيجية التي ستتكبدها إذا تخلت عنها.

وبعيداً عن كل هذا تطرح العديد من علامات الاستفهام حول حقيقة موقف الملالي من القضايا العربية بعد سلسلة من الوقائع والأحداث التي أثبتت تواطؤ إيران مع العدو الصهيوني ليس آخرها الشركات الإسرائيلية التي فرضت عليها الحكومة الأميركية عقوبات بسبب تعاملها مع إيران، وما يتردد عن مشاركة الحرس الثوري الإيراني في قمع الثورة السورية إلى جانب الأمن السوري.

خلاصة

يتبين بعد هذا العرض للموضوع من جوانب متعددة أن المفاضلة بين التيارات السياسية الإيرانية قياساً على سياسات الشاه تختلف في درجات السوء فقط، وأن أكثرها سوءاً هم المحافظون وليسوا الإصلاحيين.

والسؤال الذي يطرح هو: ما الذي بقي للعرب مع إيران حتى يخشون خسارته إذا ما تغير النظام الإيراني؟ فاحتلال الأحواز والجزر الإماراتية مستمر والتمسك بفارسية الخليج لازال على حاله والنفوذ الإيراني في العراق أكبر منه في أيام الشاه والخطر الفارسي أصبح خطرا شيعياً فارسياً ولا مجال للمقارنة بينهما!!

العلاقات الإيرانية الإسرائيلية
هي هي «عداء» أم «تعاون في الخفاء»؟

م. عبد المعطي ذكي – موقع محيط ٢٠١١/٥/٢٧

قبل نجاح الثورة الإسلامية، كانت هناك علاقات قوية بين إيران وإسرائيل، حيث اعترفت إيران البهلوية بهذه الدولة بعد عامين من تأسيس النظام الصهيوني في ٦/ ٣/ ١٩٥٠، وبالرغم من أن حكومة مصدق اتخذت قرارًا بإغلاق القنصلية الإيرانية في القدس في ٦/ ٧/ ١٩٥١، وبينما اعتبر العرب أن هذا القرار يأتي من منطلق التراجع عن الاعتراف الرسمي بإسرائيل.

فقد اتخذت العلاقات الإيرانية الإسرائيلية بعدًا أكثر عمقًا في أواخر عقد الخمسينيات. وفي الواقع يمكن القول أن تحالفًا استراتيجيًا قد تم بين الدولتين واستمر هذا التحالف حتى سقوط الحكم البهلوي عام ١٩٧٩، وقد تحالفت كلتا الدولتين في المجال الأمني في مواجهة الأعداء المشتركين أي العرب والاتحاد السوفيتي السابق، حيث بلغت العلاقات بينهما في المجال الأمني أعلى مستوياتها.

وبتحالف إسرائيل مع إيران استطاعت الأولى الخروج من حصارها السياسي الإقليمي وتعميق علاقاتها مع الدول الأخرى من ناحية، كما حاولت تغيير الترتيبات الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط من خلال إقامة علاقات مع دول الجوار غير العربية (من قبل إيران وتركيا) من ناحية أخرى.

تمكنت إيران من تدعيم علاقاتها مع العدو الرئيسي للدول العربية خاصة في ظل تزايد حدة العداء بينها وبين الدول العربية خاصة مصر في عهد جمال عبد الناصر والعراق بعد انقلاب ١٩٥٨، ولم تكن صدفة أن يتم النهوض بمستوى العلاقات الإيرانية .الإسرائيلية .أكثر من ذي قبل في منتصف عقد الخمسينيات وبداية عقد الستينيات أثناء نشوب خلاف بين جمال عبد الناصر والشاه.

لذلك اعتقد البعض أن إيران اعترفت رسميًا بإسرائيل لهذا السبب بالإضافة إلى ذلك تمكن الشاه من خلال عقد اتفاقيات موسعة بين الموساد والسافاك من تحقيق قدر من الاستقرار الداخلي، كذلك تزايد التعاون الإيراني الإسرائيلي، وبادرت إسرائيل بتسليح شاه إيران، كما حظيت العلاقات الاقتصادية بقدر كبير من الأهمية، وقد كانت إيران المصدر الرئيس لصادرات النفط الإسرائيلية لدرجة أن إيران كانت الممول الأساسي للنفط الإسرائيلي أثناء حربي ١٩٦٧، ١٩٧٣، وفي هذا الاتجاه وفرت إيران البهلوية أكثر من ٩٠٪ من احتياجات إسرائيل النفطية.

وفي المقابل بادرت إسرائيل بتصدير المنتجات الصناعية والأسلحة إلى إيران، وقد استفادت إيران كذلك من إسرائيل في مشروعاتها الزراعية والصناعية كمشروع قزوين الزراعي الصناعي. كما استثمر أصحاب رءوس الأموال الإسرائيليون في عدد من البنوك المختلطة وشركات الإنتاج والخدمات الإيرانية.

بعد نجاح الثورة الإسلامية تم قطع العلاقات مع النظام الصهيوني وتم تحويل السفارة السابقة لهذا النظام لتكون مقرًا لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكان من البديهي أن تضع الثورة الإسلامية القضية الفلسطينية في صميم أهدافها.

وقبل بداية الحرب المفروضة (الحرب العراقية .

الإيرانيـة) تـوازت العلاقـات مع منظمـة التحريـر الفلـسطينية ومعـاداة إسرائيـل في اتجـاه واحـد، واسـتمرت معارضـة إيـران لإسرائيـل مـع دعـم القـضية الفلـسطينية، بـالرغم مـن تـوتر العلاقـات الإيرانيـة مـع منظمـة التحريـر الفلـسطينية نتيجـة لـدعمها للعـراق في الحـرب المفروضـة، وفي تلـك الأثنـاء تغـيرت توجهـات الـسياسة الخارجيـة الإيرانيـة إزاء إسرائيـل بشكل كامل.

العلاقـات الإيرانيـة الإسرائيليـة بعـد قيـام الثـورة الإسلامية ١٩٧٩

قـد يبـدو بعيـدا عـن الاحـتمال ان تقـوم إيـران التـي دأب زعماؤهـا منـذ عـام ١٩٧٩ عـلى اسـتخدام أقـذع العبـارات في وصـف «الـشيطان الـصغير» بتخفيـف موقفهـا مـن إسرائيـل، **لكـن المراجعـة المتأنيـة للعقـود الثلاثـة الأخـيرة تظهـر أن خطـاب إيـران العـدائي نـاتج عـن الانتهازيـة أكثـر مـن كونـه نتاجـا للتعـصب للقـيم والمبـاديء**، فعـلى الـرغم مـن إيـديولوجياتهما المتعارضـة، كانـت إيـران وإسرائيـل مـستعدتين في بعـض الأوقـات للعمـل معـا بهـدوء، **والـسبب بـسيط: فعنـدما تـضطر طهـران الى الاختيـار، فإنهـا تقـدم دائـما مـصالحها الجيواسـتراتيجية عـلى دوافعهـا الإيديولوجيـة** ولا توجـد منطقـة تتـضح فيهـا أهميـة البعـد الاسـتراتيجي في سياسة إيران الخارجية مثل المنطقة المتعلقة بإسرائيل.

فكلـما تعـارض هـذان المرتكـزان في الـسياسة الإيرانيـة الخارجيـة، كـما حـدث في ثمانينيـات القـرن المـاضي إبـان الحـرب العراقيـة – الإيرانيـة، كانـت الأولويـة باسـتمرار لاهتمامـات إيـران الجيواسـتراتيجية، فقـد طلبـت إيـران بهـدوء مـساعدة إسرائيـل، وبـذلت الدولـة اليهوديـة الكثـير مـن الجهـود لايجـاد اجـواء تخاطـب بـين إيـران وإسرائيـل، كانـت طهـران، بمواجهـة الجـيش العراقـي الغـازي والـنقص الـشديد في قطـع غيـار أسـلحتها الأمريكيـة الـصنع بـسبب المقاطعـة الأمريكيـة، في حاجـة ماسـة إلى مـساعدة إسرائيـل وكانـت إسرائيـل بالمقابـل، شـديدة الحـرص عـلى الحيلولـة دون احـراز انتـصار عراقـي وعـلى اسـتعادة تعاونهـا الأمنـي الـسري التقليـدي مـع إيـران الـشاه، بغـض النظـر عـن خطـاب المـلالي الملتهب ضد إسرائيل.

العلاقـات بـين إيـران وإسرائيـل اتخـذت طابعـاً معينـاً منـذ تـسلم نظـام الآيـات الحكـم في إيـران هـذه الطـابع لـه ثلاثـة خصائص أساسية:

أولاً الـسرية: وتـشهد عـلى ذلـك صـفقة إيـران جيـت والتـي أمـدت فيهـا الولايـات المتحـدة عـن طريـق إسرائيـل صـفقات أسـلحة وقطـع غيـار للأسـلحة الأمريكيـة الموجـودة لـدى إيـران أثنـاء الحـرب الإيرانيـة العراقيـة بعـد قيـام الثـورة الخمينية.

وكانـت الحكومـة الإسرائيليـة قـد أقامـت اتـصالا مـع حكومـة الولايـات المتحـدة في أغـسطس ١٩٨٥ وقـدمت لهـا عرضـا أن تقـوم بـدور وسـيط لـشحن ٥٠٨ قـذائف أمريكيـة مـضادة للـدبابات لإيـران مقابـل إطـلاق سراح الكـاهن العـبري بينجـامين وايـر الرهينـة الأمريكـي الـذي احتجزتـه جماعـة مؤيـدة لإيـران في لبنـان، ومـع اتفـاق أن تقـوم الولايـات المتحـدة بـشحن قـذائف بديلـة لإسرائيـل، وكـان روبـرت ماكفـارلاين مـساعد الـرئيس رونالـد ريغـان لـشؤون الأمـن القـومي قـد أجـرى لقـاء مـع وزيـر الـدفاع الأمريكـي كاسبر واينبيرجر آنذاك ورتب لتفاصيل الصفقة.

وقـد بـدأ التنفيـذ خـلال الـشهرين التـاليين وفي نـوفمبر كانـت هنـاك جولـة أخـرى مـن المفاوضـات، حيـث عرضـت إسرائيـل أن تـشحن ٥٠٠ قذيفـة مـضادة للطـائرات في مقابـل إطـلاق سراح بقيـة الرهـائن الأمـريكيين المحتجـزين في لبنـان، وقـد أرسـلت إسرائيـل شـحنة مبدئيـة بــ ١٨ قذيفـة إلى

إيـران في أواخـر شـهر نـوفمبر ولكـن الإيـرانيين لم يوافقـوا عـلى القـذائف وألغيـت الـشحنات التاليـة.و لكـن المفاوضـات بـين إيـران وإسرائيـل استمرت طـوال شـهور بعـد ذلك.

ثانيـاً الدعايـة الديماجوجيـة: ومنهـا إغـلاق الـسفارة الإسرائيليـة في طهـران وإنـشاء فيلـق القـدس بـزعم تحريـر القـدس مـن اليهـود بينما هـو سـيف مـشرع ضـد أهـل الـسنة في العـراق وغـيره، كـما اشـتهرت تـصريحات الـسياسيين الإيـرانيين ضـد إسرائيـل بـدءا مـن خميني وانتهـاء بنجـاد فقـد صرّح الـرئيس الإيـراني الجديـد أحمـدي نجـاد يـوم ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٥ بأنـه ينبغـي أن تلغـى إسرائيـل مـن خارطـة العـالم مؤكـداً في ذات الوقـت عـلى الحـق الفلـسطيني في كامل تراب فلسطين.

ثالثـاً التعـاون الوثيـق و التنـسيق حيـث تعتـبر إسرائيـل إيـران مـن دول الأطـراف: تـسعى إسرائيـل إلى توثيـق صـلاتها بالـدول غـير العربيـة المحيطـة بالعـالم العـربي وذلـك في محاولـه لاجتـذابها إلى صـفها حتـى تمثـل قـوة مـضافة لهـا في صراعهـا التـاريخي الممتـد حـول فلـسطين وتحـاول مـن خـلال هـذه العلاقـة تطبيـق إسـتراتيجية شـد الأطـراف، والتـي تعنـى خلـق تـوترات أو نزاعـات داخليـه وخارجيـة بـين دول الأطـراف ودول العـالم العـربي وخاصـة الـدول ذات الثقـل الـسياسي والـسكاني كمـصر والـسعودية ممـا يترتـب عليـه أن تتفتـت قـوى العـالم العـربي إلى أكثـر مـن جهـة وبالتـالي يـصعب التركيـز عـلى ميـدان الـصراع الرئيـسي وهـو الـصراع العربي الإسرائيلي.

ولـذلك تـسعى إسرائيـل دائـماً ومـن منطلـق إسـتراتيجي إلى الاحتفـاظ بعلاقـات قويـه مـع دول الأطـراف غـير العربيـة وهـذا الأمـر يجعلهـا تـصبر عـلى أيـة تـوترات قـد تـصيب هـذه العلاقـات كـما حـدث مـع تركيـا عقـب حادثـة أسـطول الحريـة والأمـر مـع إيـران لـه نفـس الأهميـة، ولـذلك يمكـن أن نفهـم حرصـها عـلى عـدم فـضح الاتـصالات الإيرانيـة الـسرية معهـا بعـد قيـام مـا يـسمي بـالثورة الإسـلامية مـع الاختلافـات الأيدلوجية مع نظام الملالى فى إيران.

فمـن مـصلحة إسرائيـل اسـتمرارها لأنهـا علاقـات إسـتراتيجيه فهـي أمـدت إيـران بالـسلاح أثنـاء الحـرب الإيرانيـة العراقيـة لأن مـن مـصلحتها القـضاء عـلى العـراق كقـوة مواجهه رئيسيه لإسرائيل.

سياسات إيران مع دول الجوار العربى

النظـرة المتعمقـة لـسياسات إيـران مـع الـدول العربيـة عامـه ودول الجـوار خاصـة سـوف تلقـى ضـوءاً كاشـفاً يساعد فى تقييم العلاقـات الإيرانيـة الإسرائيليـة، كـشفت حادثـة تـورط وزيـر الدولـة البحرينـي منـصور بـن رجـب، في شـبكة لغـسيل الأمـوال، لحـساب الحـرس الثـوري الإيـراني عـن جوانـب شـديدة الخطـورة عـلى عـدة مـستويات، لعـل في مقـدمتها جانـب علاقـة إيـران بـدول الجـوار العـربي، وثانيهـا دور الأقليـات الـشيعية في هذه الدول العربية ولمنْ يكون ولائها الأول.

فـيما يخـص الجانـب الأول، وهـو علاقـة إيـران بـدول الجـوار فقـد كـشفت هـذه الحادثـة وآخريـات مـن قبلهـا عـن انتهاكـات إيرانيـة خطـيرة لهـذه الـدول العربيـة وعـلى عـدة مـستويات، فـإيران هـي مـن يحتـل الجـزر الإماراتيـة الثلاثـة (طنـب الكـبرى، وطنـب الـصغرى، وأبـو موسـى) وتـرفض الانـسحاب منهـا أو حتـى الـدخول في تفـاوض حولهـا، وإيـران هـي مـن دعمـت التمـرد الحـوثي شـمال الـيمن وأشـعلت فتيـل سـت حـروب متواليـة بـين هـؤلاء المتمـردين والقـوات اليمنيـة، وتمـدد خطرهـا حتـى إنتهـاك حـدود المملكة العربية السعودية...

وهـي التـي اعتـبرت وصرحـت بـأن البحـرين هـي أحـدى الولايـات التابعـة لهـا، قبـل عـدة أشـهر، وهـي التـصريحات التـي جـاءت مـن شخـصيات رسـمية مقربـة مـن رأس الـسلطة الممثلـة في المرشـد عـلى خـامئني، وإيـران هـي التـي مـدت نفوذهـا في العـراق، فتعاونـت مـع الاحـتلال الأمريكـي لإسـقاط نظـام صـدام حـسين في العـام ٢٠٠٣، ثـم غـذت الحـرب الطائفيـة بالمـال والـسلاح وانتـصرت للـشيعة عـلى بقية الطوائف خاصة أهل السنة.

محـصلة الأمـر، أن كـل دول الجـوار الإيـراني أصـابها الـشرر المتطـاير مـن نظـام ولايـة الفقيـه الإيـراني في صـورة احـتلال مبـاشر كـما في الإمـارات أو احـتلال مقنـع بأغلفـة طائفيـة مقيتـة كـما في العـراق أو هـي تـستدعى ذاكـرة الاحـتلال وتلوح به كما في البحرين..

ولـك أن تـضيف إلى ذلـك أنهـا تـدعم التمـرد عـلى سـلطان الـدول المجـاورة لهـا، وهـي الحادثـة المـشهودة في الـيمن حيـث التمـرد الحـوثي، أو لبنـان حيـث يتمركـز حـزب الله في الجنـوب معارضـا أيـة سـلطة للدولـة هنـاك أو تـدخل مـن جانـب الجـيش النظـامي ورافـضا لوجـود اي مقاومـة سـنية ضد اسرائيل في جنوب لبنان.

وتـأتي حادثـة اسـتخدام وزيـر الدولـة البحرينـي لتـضيف بعـداً جديـداً في الانتهاكـات الإيرانيـة لـسيادة دول الجـوار العـربي، فهـي ليـست مجـرد حادثـة غـسيل أمـوال ذات بعـد اقتـصادي كـما يبـدو، فالقـضية لهـا عـدة أبعـاد مختلفـة تتعلـق جميعها بالأمن القومي للدول العربية:

أولهـا: أن الـوزير البحرينـي مـتهم بالتجـسس لحـساب إيـران، بعـدما عثـر معـه عـلى صـورة لأمـاكن عـسكرية بحرينيـة محظـور تـصويرها، أي أننـا أمـام قـضية لهـا بعـد اسـتخباراتي، وهـو مـا يثـير تـساؤلا عـن الهـدف الإيـراني مـن التجـسس عـلى البحـرين ومعرفـة الأمـاكن العـسكرية والحـساسة فيـه، وهـل هنـاك ثمـة ارتبـاط بـين هـذا التجـسس والتهديـدات الـسابقة بـضم البحـرين إلى إيـران باعتبارهـا أحـد المحافظـات المنفلتة؟

ثانيهـا: أن الـوزير البحرينـي لـيس هـو فقـط المـتهم في هـذه القـضية، فهنـاك شخـصيات أخـرى مـن الكويـت، ولبنـان، ومـصر، أي أننـا أمـام شـبكة متعاونـة يـديرها الحـرس الثـوري في عـدة دول عربيـة، وهـو مـا يعنـى أن جميـع الـدول العربيـة مـستهدفة مـن قبـل الحـرس الثـوري الـذراع البـاطش للثـورة الخومينيـة، وأنـه نجـح حتـى الآن في إيجـاد خلايـا وشخصيات متعاونة.

ثالثهـا: أن الـوزير المـتهم، وكـذا أعـضاء الـشبكة مـن الطائفـة الـشيعية، ويحملـون جنـسيات بلادهـم العربيـة، وبعـضهم في أمـاكن حـساسة ومـسئولة، أي أننـا أمـام ولاء مـزدوج شـديد الخطـورة، وهـذا البعـد هـو مـا يـضعنا عـلى عتبـة الجانـب أو الـشق الثـاني **والـذي يتنـاول قـضية ولاء الطوائـف الشيعية في البلاد العربية.. لمنْ يكون؟**

الـذي يبـدو مـن خـلال الرصـد الـواقعي أن ولاء الطوائـف الـشيعة لإيـران التـي تعتـبر الدولـة الـشيعية الاثنـي عـشرية الوحيـدة وسـط العـالم العـربي مقـدم عـلى ولائهـم لجنسياتهم وبلـدانهم، والـشواهد كـما أسـلفنا تـدل عـلى ذلـك بأفـصح لغة.

فحـزب الله اللبنـاني في غـير ذات مـرة أعلـن ولائـه المطلـق لولايـة الفقيـه، في إيـران، وحروبـه الخارجيـة وأزماتـه الداخليـة هـي بالوكالـة عـن النظـام الإيـراني، فقـد جـاء في البيـان التأسيـسي لحـزب الله مـا نـصه: «أننـا أبنـاء أمـة حـزب الله التـي نـصر الله طليعتهـا في إيـران، وأسّـست مـن جديـد نـواة دولـة الإسـلام المركزيّـة في العـالم، نلتـزم بـأوامر قيـادة واحـدة حكيمـة عادلـة، تتمثّـل بـالولي الفقيـه الجـامع للـشرائط». ويكـرر الأمـين العـام الحـالي لحـزب الله حـسن نـصر الله هـذا

الالتــزام فيقــول: «إن المرجعيــة الدينيــة في إيــران تــشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا».

أي أننـا أمـام دويلـة ومحافظـة إيرانيـة قابعـة في الجنـوب اللبنـاني، لا تجـد حرجـا في الإفـصاح والإعـلان عـن هويتهـا وولائهـا لإيـران، في حـين لا نجـد منهـا ذات الالتـزام والـولاء للدولة اللبنانية.

والحوثيــون اليمنيــون، كــذلك، يرتبطــون بــروابط وثيقــة بـإيران، وهـو مـا كـشفة الـرئيس اليمنـي عـلي عبـد الله صـالح في أكثــر مــن مناســبة، ولم تجــد إيــران غــضاضة كــذلك مــن الاعــتراف بــدعمها للمتمــردين الحــوثيين، وهــو مــا أكدتــه كـذلك تقـارير غربيـة، حيـث أكـد تقريـر أمريكـي صـادر عـن مركـز «سـتراتفور» للاستـشارات الأمنيـة أن القـوات الإيرانيـة الموجـودة في البحـر الأحمـر وخلـيج عـدن تقـوم بتـأمين عمليـة تهريــب الأســلحة مــن أحــد المــوانئ الإريتريــة في البحــر الأحمـر إلى الحـوثيين، مؤكـدا أن القـوات البحريـة الإيرانيـة أضـافت أسـطولا رابعـا تمركـز في خلـيج عـدن وذلـك لتـأمين طرق جديدة لتهريب الأسلحة للتمرد الحوثي.

والحـــال فـــيما يخـــص بعـــض الـــشيعة في الـــسعودية لم يختلـف كثـيراً، حيـث صرح المرجـع الـشيعي نمـر النمـر بأنـه وشــيعة المملكــة مــع إيــران قلبــاً وقالبــاً، وهــي ذات التـصريحات التـي أكـدها المرجـع حـسن الـصفار، وأعطاهـا فقـط بعـداً دينيـاً عـلى اعتبـار أن إيـران تعـد مرجعيـة لكـل شـيعة العالم.

وأخـيرا نقـول أن الـشيعة وقفـوا مـن قبـل إلى جانـب أعـداء الأمــة حتــى غــزو الــديار واحتلــوا الــبلاد، كــما فعــل ابــن العلقمـي الـذي خـان الخلافـة العباسية وتعـاون مـع التتـار عـلي اسقاط الخلافة وغيره..

إن الرصـد الـدقيق للـسياسات الإيرانيـه عـلى أرض الواقـع ولـيس مـن خـلال البيانـات الحماسـيه يرسـخ تلـك القناعـات ومن منطلق موضوعى بحت:

١- هنـاك نـوع مـن الاسـتعلاء الإيـراني القـومى عـلى العـرب تغذيـه حـزازات قديمـه نتيجـة تـدمير الإمبراطوريـة الفارسـية عـلى أيـدى العـرب والأمـر لم يختلـف كثـيرا فى نتائجه على الأرض سـواء أيام الـشاه أو بعـد قيام الثـورة التـى ينعتونها بالإسلامية.

الفـرق الوحيـد هـو فى علانيـة الـسياسات أيـام الـشاه واعتبـار إيـران نفـسها شرطـي المنطقـة أمـا بعـد قيـام الثـوره فقـد حاولـت أن تغلـف مطامعهـا بغـلاف إعلامـى خـادع، ومجـرد رصـد الغـضب الإيـراني العاصـف إذا وصـف الخلـيج بأنـه الخلـيج العـربي لا الفـارسي والتهديـد بمنـع شركـات الطـيران التــى تــستخدم هــذا الوصــف مــن الطــيران فى الأجــواء الإيرانيـة، ثـم تلـك المظـاهرات الـسياسيه التـى تـنظم فى أثنـاء الحـج وحتـى أثنـاء مباريـات كـرة القـدم كـل ذلـك يـشهد بوضــوح بحــدة الــشعور القــومى الإيرانــى والرغبــة فى أن تسود الخليج.

٢- هنـاك مـشروع قـومى إيرانـى يـسعى إلى الهيمنـه عـلى الخلـيج والقـضاء عـلى أي قـوة أخـري منافـسه ومـا الـدور الغـادر الـذي قامـت بـه إيـران فى العـراق والـذى مهـد للغـزو الأمريكـى عـام ٢٠٠٣، ثـم التـدمير الممـنهج للدولـه العراقيـه إلا دلـيلاً ناصـعاً عـلى إصرار إيـران عـلى الـسيطرة عـلى مقـدرات المنطقـة ومنـع وجـود أى قـوه منافـسة وهـذا يعلمنـا ألا نــسمع إلى مــا يقولــه الــزعماء الإيرانيــون بــل يجــب أن نرصد ما يفعلونه على أرض الواقع.

٣- إن محــاولات تــصدير الثــورة ونــشر الفكــر الــشيعى كلـه تـتم فى إطـار محـاولات التـسلل وإيجـاد قـوى محليـه مؤيـده للتوجهـات الإيرانيـة وهـى مـع بـالغ الأسـف إسـتراتيجيه يهوديـة معروفـه وهـى إسـتراتيجيه تهـدف دائـما إلى إثـارة القلاقـل فى المجتمعـات، إن النظـام فى إيـران يحـاول دائـما

إثـارة الـصراع المـذهبي بـين الـسنة والـشيعة والوضـع المتـدهور- لأهـل الـسنة فى إيـران والـذين يمثلـون ٣٠٪ مـن السكان يشهد على التمييز الواضح ضدهم.

كـما أن الـدعايات المغرضـة ضـد الـصحابة لا تتوقـف ومـن المفيـد دراسـة مبـدأ التقيـة فى المـذهب الـشعيى حتـى نحـسن تقيـيم الموقـف الإيـراني ولا نخـدع بالـشعارات البراقـة، ومـا فـشلت محـاولات التقريـب بـين المـذهبين والتـى قـام عليهـا علـماء أجـلاء أمثـال الـشيخ محمـود شـلتوت إلا بـسبب إصرار الإيـرانيين عـلى الاسـتمرار فى بـث دعايـاتهم المسمومة.

محددات العلاقات الإيرانية الإسرائيلية

كـما أوضـحنا فـإن إيـران تـسعى لأن تكـون القـوة المهيمنـة فى المعادلـة الإقليميـة وإن لم تـستطع ذلـك فلابـد أن يكـون لهـا كلمـه مـسموعة فى كـل مـا يجـرى فى المنطقـة خاصـة فـيما يتـصل بـأمن الخلـيج، وهـى فى هـذا تتحـرك مـن منطلـق إسـتراتيجي صرف يركـز عـلى تحقيـق أهـداف الـسياسة الإيرانيـة ولا مـانع مـن التـستر وراء الـشعارات والخطـب الحماسـية فالدولـة الإيرانيـة لهـا خطابـان خطـاب حماسـى للجماهـير وآخـر خطـاب حقيقـى موجـه إلى النخـب وهـو الذى يترجم على أرض الواقع.

فالـسياسة الإيرانيـة ترتكـز عـلى قاعـدة المـصالح وهـم فى سـبيل ذلـك ينتهجـون كـل الـسبل الموصـلة لـذلك مهـما خالفـت القناعـات الأيدلوجيـة التـى يجـأرون بهـا فى إعلامهـم لـيلاً ونهـاراً فـالإيرانيون يطبقـون مقولـة الـصهيونى اليهـودى كيـسنجر (لـيس هنـاك عـدوات دائمـه أو صـداقات دائمـة ولكـن هنـاك مـصالح دائمـة)، والإيرانيـون معروفـون بمهـارتهم فى إدارة الأزمـات وتكـوين التحالفـات وإدارتهـم لملفهـم النـووى يـشهد عـلى ذلـك العلاقـه مـع إسرائيـل التـي تقـوم عـلى قاعـدة المـصالح الراسـخه ولا دخـل فيهـا للأيـدلوجيا او المبـاديء، فعنـدما إحتاجـت إلى الـسلاح أثنـاء الحـرب مـع العـراق كانـت الإتـصالات مـع إسرائيـل ومحاولـة الحـصول عـلى الـسلاح بـأى ثمـن خاصـة أن قاعـدة الـسلاح الإيرانى كانت أمريكية صرفة.

ولـذلك لم تعـترض عـلى الترتيبـات التـى تمـت لنقـل اليهـود الإيـرانيين إلى إسرائيـل وكانـت المعاملـة المتميـزة للجاليـة اليهوديـة فى إيـران، بـل إن إيـران لم تتـورع عـن شراء الـسلاح الفلـسطينى الـذى إسـتولت عليـه إسرائيـل عنـد غزوهـا للبنـان، والإيرانيـون يـسعون عـلى الـدوام وبحكـم مهـارتهم فى إدارة الأزمـات إلى خلـق تحالفـات تخـدم هـدفهم الـرئيس فى الـدور الإقليمـى المهـيمن ومـن هنـا نفهـم مـساندتهم للمقاومـة الإسـلامية فى فلـسطين ولبنـان بـل ومـساندتهم للغزو الأمريكى للعراق.

والـذى أدى إلى جعـل القـوات الأمريكيـة فى العـراق رهينـة لإيـران فى حالـة حـدوث أى هجـوم أمريكـى أو إسرائـيلى عـلى إيـران، وكـذلك نفهـم سـعيهم الـدءوب إلى توظيـف الجاليـات الـشيعية فى الخلـيج توظيفـاً سياسـياً وهـو الأمـر الـذى حـدث فى الـسعوديه والـيمن والبحـرين وغيرهـا مـن دول الخلـيج، وهـذا الفهـم لمحـددات الـسياسة الإيرانيـة يجعلنـا نفهـم متـى تلتقـى وتتفـارق العلاقـات الإيرانيـة الإسرائيليـة وتـداعيات الملـف النـووى الإيرانـى تـبرز بوضـوح هذا الأمر.

تداعيات الملف النووي الإيراني

المراقـب للوضـع الإقتـصادى الإيـراني ومـا يكتنفـه مـن صـعوبات يحـار فى تفسير التوجـه النـووي الإيـراني، فلـو كـان الأمـر مجـرد تـدعيم الطاقـة الكهربيـة وتحليـة الميـاه لمـا كـان فى الأمـر مـشكلة لأن هـذا شـيئ مـشروع طبقـا لاتفاقيـة حظـر

انتشار الأسلحة النووية وإيران من الدول الموقعة عليها، ولكن الشكوك الدولية تعلقت بالبرنامج عندما أخفت إيران نشاط تخصيب اليورانيوم ولم تبلغ به الوكالة الدولية حتى تم اكتشاف مواقع التخصيب بواسطة الأقمار الصناعية، وعندما بدأت الوكالة عمليات البحث وجدت أعداداً كبيرة من معدات التخصيب تم تصنيعها محليا بمساعدة الدكتور عبد القدير خان أبو القنبلة النووية الباكستانية والذى كان يدير شبكة دولية لاختراق الحصار الدولى على التكنولوجيا النووية.

ورغم أن الموضوع تم كشفه ولكن بعد أن تمكنت إيران من تصنيع أعداداً كبيرة من معدات الطرد المركزي والتى مكنتها من تخصيب اليورانيوم بنسبة ٣٪، وهى نسبة كافيه لتوفير الوقود النووى اللازم لتشغيل محطة بوشهر، وهى المحطة النووية الأولى والتى أقيمت بمساعدة روسية بعد من انسحاب ألمانيا من إتمام بناء المحطة بعد قيام الثورة فى إيران عام ١٩٧٩، ولكن ما ضاعف الشكوك الدوليه كان فى اكتشاف مصنع المياه الثقيلة فى نتانز لإنتاج البلوتونيوم، وخطورة الأمر هو أن كميه صغيرة من البلوتونيوم تعادل حوالى ٣ كجم تكفى لصنع قنبلة نووية، بينما يتطلب الأمر حوالى ٢٥ كجم من اليورانيوم ٢٣٥ لصنع قنبلة نووية واحدة.

كل هذا أدى إلى شكوك قوية لدى الغرب فى أن هناك برنامج عسكرى بجانب البرنامج المدنى، وهنا بدأت الوكالة الدولية فى عمليات تفتيش مكثفة ولم تستطع أبداً أن تصل إلى يقين بأن هناك برنامج عسكرى، وفى نفس الوقت لم تستطع إيران أن تزيل الشكوك لدى الوكالة وظل هناك شك لدى الوكالة أن إيران تخفى شيئاً ما فنشاط التخصيب مكلف اقتصادياً إن لم يتم بكميات كبيرة وكان من الحكمة فى ظروف كظروف إيران أن تحصل على اليورانيوم المطلوب من السوق الدولية، كما أنه من المتعين على روسيا التى قامت بإتمام بناء مفاعل بوشهر أن تقوم بتوريد اليورانيوم المطلوب للتشغيل ولكن إيران أدعت أنها تريد أن تؤمن وقوداً تحت الطلب ولا تخضع لأي عمليات إبتزاز من الغرب وأن خام اليورانيوم متوافر فى أراضيها فلما لا تقوم بالتخصيب فى إيران.

ومن ناحية أخرى كانت هناك شكوكا قويه لدى المخابرات الغربية أن إيران كما استقطبت أبو القنبلة النووية الباكستانية لتصنيع معدات الطرد المركزى فيمكن الشك فى أنها حصلت على التكنولوجيا والخبرة اللازمة من العالم الباكستاني، وأن الأمر لا يعدو صدور قرار سياسى بالبدء ومن ناحية أخرى هناك شكوكاً قوية فى أن إيران ربما استقطبت بعض العلماء الروس بعد انهيار الإتحاد السوفييتي وربما كانوا يعملون الآن فى إيران.

هذه الشكوك فى وجود برنامج عسكري فى إيران هز بقوه نظرية الأمن الإسرائيلي والتى تعتمد على إنفراد إسرائيل بامتلاك قنابل نووية وبالتالى بقوة ردع لا تتوافر لأى دولة فى المنطقة ومجرد امتلاك إيران لقوة ردع نووى يمكن أن يؤدى إلى التداعيات التالية:

١ - اهتزاز الوضع الإقليمي المتميز لإسرائيل بوجود قوة نووية منافسة متفوقة تقليدياً على إسرائيل من حيث الثقل السكانى والمساحة المترامية والنفوذ الهائل فى الخليج مع وجود جيش عدد أفراده يتجاوز المليون علاوة على القوة الاقتصادية المتمثلة فى النفط.

هذا علاوه على أن إيران دولة دينية والآيات هناك يملكون سلطاناً معنوياً على الشعب بحكم العقيدة الشيعية كل هذا يرجح جانب إيران فى حالة إمتلاكها سلاح ردع نووى وهو أمر ليس فى طاقة إسرائيل تحمله لأنه سيهز دورها كدولة وظيفية وسيحجم حركتها مما يشل فاعليتها

كدولـة حـاجزة وسـيخلق فيتـو إيرانـى يجـب أن تنـسق معـه على الدوام.

٢ - مجـرد الامـتلاك لـسلاح نـووى سيـشعل الطلـب عليـه مـن قبـل بـاقى الـدول، وإذا انطلـق هـذا الـسباق فإمـا أن تقبـل بـه إسرائيـل وهـو خيـار مـر لأنهـا ستتحول إلى دولـة هامـشية ولـن يمكنهـا أن تبرطـع فى المنطقـة كـما تـشاء كـما تفعـل الآن، والخيــار الآخــر أن توافــق عــلى نــزع الــسلاح النــووى فى المنطقـة وهـو خيـار أشـد مـرارة بالنسبة لهـا لأنهـا حينئـذ لـن تملــك الــسلاح الــلازم للــدفاع فى حالــة تعرضــها لخطــر وجودى.

٣ - أن مجـرد سـخونة الملـف النـووى الإيرانـى وخروجـه مـن جولـة تفاوضـية إلى أخـرى والإيـرانيين أكثـر مهـاره مـن الــصهاينه فى لعبــة الوقــت إلى الحــد الــذى تــستمر فيــه المفاوضــات إلى الأبــد، لأن الإيــرانيين ينتهجــون سياســة حافـة الهاويـة ففـى الوقـت الـذى توشـك فيـه المفاوضـات عـلى الإنهيــار يقــدمون اقتراحــاً يعطــى بعــض الأمــل فتبــدأ المفاوضـات مـن جديـد، والخـوف كـل الخـوف لـدى الغـرب وإسرائيـل أن إطالـة أمـد المفاوضـات ليعطـى لإيـران الفرصـة للوصــول إلى التخـصيب بالنـسبة التـى تكفـى لـصنع القنبلـة النووية.

٤ - أن هنــاك حالــة شــبه عجــز فى محاولــة إيقــاف البرنــامج لأن هنــاك إجمــاع قــومى عليــه مهــما بلغــت التكـاليف، كـما أن محاولـة تـدميره عـسكرياً شـبه مـستحيلة لأن المنـشآت النوويـة تتـوزع عـلى أكثـر مـن ١٥٠ موقـع، ومعظمهـا تحـت الأرض فى أوضـاع شـديدة التحـصين وهـذا مما يرسخ الشكوك بوجود برنامج عسكرى.

والـسؤال هـل توقـف البرنـامج أم لا مـع الـضغوط الغربيـة عــلى إيــران والتــى إقتــصرت إلى الآن عــلى العقوبــات الإقتـصادية ومـن ناحيـة أخـرى فـإن حالـة مـن اليقـين بـأن الـرد الإيرانـى سـيكون عنيفـاً إلى الحـد الـذى يـشعل المنطقـة بأسرهـا وهـو أمـر مؤكـد إذا أغلقـت إيـران مـضيق هرمـز بـإغراق إحـدى الـسفن، الأمـر الـذى يـؤدى إلى توقـف مـا يقـرب مـن ٢٥٪ مــن إمــدادات الــنفط العالميــة ممــا يــؤدى إلى تجــاوز سـعر برميـل الـنفط حـاجز الـ١٠٠ دولار وهـو أمـر يمكـن أن يـؤدى إلى إنهيـار كثـير مـن الاقتـصاديات الغربيـة المحملـة أصـلاً بتبعـات الأزمـة الماليـة العالميـة والتـى لم تتجاوزهـا إلى حد التعافى بعد.

وهـذا التـوتر الـذى صـنعه الملـف النـووى الإيـراني والـذى يـديره الإيرانيـون بمهـارة عاليـة إلى الحـد الـذى أصـبح يـدرس فى المراكـــز الأكاديميـــة كنمـــوذج لإدارة الأزمـــات الدوليـــة صـــنع حالــه مــن التــوتر الــشديد فى المجتمــع الإسرائــيلى المثقـل أساسـاً بالهـاجس الأمنـى الأمـر الـذى سـيكون لـه تداعياتــه عــلى الهجــرة إلى إسرائيــل وعــلى الاســتثمارات الدوليـة فيهـا بـل إنـه قـد يـشجع الهجـرة المـضادة منهـا، نـصل الآن إلى التـأثير المبـاشر للملـف عـلى الوضـع الإقليمـي وهـو أنــه أثبــت أن إيــران لاعــب إقليمــى لا يمكــن تجاهلــه وأن إنفـراد إسرائيـل بالبرطعـة فى الـساحه الفلـسطينية بـلا حـدود أمـر كـاد أن ينتهـى وأنـه لابـد مـن الإنـصات إلى اللاعـب الإيرانـى فى أى تـسوية مقبلـة لأنـه بـدون ذلـك سيـستمر فى إثارة المتاعب.

والـسؤال هنـا مـاذا تريـد إيـران بالـضبط والإجابـة صـدرت مـن أكثـر مـن مـسؤول إيرانـى أن نتقابـل لنتحـدث فى ملفـات المنطقـة ولـيس فى الملـف النـووى فهـو بالنـسبة إلـيهم ملـف غـير قابـل للتفـاوض، ولـيس سراً أن المخـابرات الأمريكيـة ذكـرت فى تقريـر لهـا أن البرنـامج العـسكرى توقـف منـذ عـام ٢٠٠٣ ومـع ذلـك لم تهـدأ المخـاوف الإسرائيليـة لأنـه كـما توقـف يمكـن أن يبـدأ مـن جديـد والـذى تريـده إيـران حقيقـة كـما قـال أحمـدى نجـاد صراحـة (نريـد أن نـشارك فى حكـم

العالم).

والتوتر الموجود الآن فى الساحة الإسرائيلية لا يعنى أبدا أن الاتصالات الإيرانية الإسرائيلية توقفت بل هى مستمرة منذ قيام الثوره الإيرانية ووزير الخارجية الروسى أعلنها صراحة وهو دبلوماسى يزن كلماته جيداً (أنه من المحتم أن يجلس الطرفان سوياً ويتفاوضا)، ولكن الوضع الجديد أنه أوجد حالة من التنافس الإستراتيجي وأنه فى حالة نجاح الإيرانيين فى إرغام أمريكا ومن ثم إسرائيل على الجلوس إلى مائدة المفاوضات فسوف يضطر الغرب إلى تقديم تنازلات مؤلمة بالمصطلح الإسرائيلى، وأنه سيتحتم فى هذه الحالة إعادة صياغة ملفات المنطقة، **والسؤال الجوهرى هنا على حساب من؟ والإجابة فى كلمة واحدة على حسابنا نحن كعرب لأن العرب ليس لهم مشروع مقابل للمشروع الإيرانى أو الإسرائيلى وحتى التركي الذى إتضحت معالمه فى عهد حزب العدالة والتنمية.**

وقد يقول قائل ولكن إيران تساند المقاومة فى لبنان وفى فلسطين، والإجابة هذا صحيح ولكن ليس من منطلق أيدلوجي أو مبدأي ولكن من منطلق إستراتيجي، لأن موقفها هذا أكسبها تعاطفاً شعبياً ويقوى ضغطه على الملفين فى فلسطين ولبنان، ومن ثم أصبحت أحد اللاعبين الأساسيين فى هذين الملفين، ولكن إذا تعمقنا في الرؤيه وجدنا إيران ساهمت بدور ممنهج فى تدمير القدرات العراقية ومكنت للاحتلال الأمريكى عام ٢٠٠٣ ليصبح الجنود الأمريكان رهينه فى حالة القيام بأى هجوم على إيران، إذن الموقف الإيراني ليس موقفاً مبدئياً **لأن إيران لا تحركها الأيدلوجيا ولكن تحركها المصالح** ولا ننسى أنه كان لها دور تخريبى ضد الجهاد الأفغاني وأن أعوانها فى أفغانستان كانوا يقبضون على المجاهدين العرب ولا يطلقونهم إلا بعد فديات كبيرة.

وموقفهم فى إسقاط طالبان معروف فلا يجب أن نضع أوراقنا فى السلة الإيرانية ولكن يجب أن نصوغ إستراتيجية عربية واضحة المعالم نرتب فيها أوراق الضغط العربية وهى كثيرة فقط ينقصنا أن تتحرر إرادتنا وهذا لن يتم إلا إذا أصبح الشعب هو صانع القرار، والنموذج التركى نموذج ملهم فليتنا نتعلم منه فلم يعد من المقبول أن تصاغ السياسات وتوضع الإستراتيجيات إن كانت هناك فليس لدينا مراكز دراسات إستراتيجية بالمعنى الأكاديمي والتى تصوغ الإستراتيجيات وتضع البدائل، وأخشى يوماً أن نصحو وقد جلس الفرقاء إلى مائدة المفاوضات فى غياب العرب الذين لا يملكون قوة ضاغطة ليقرروا مصير المنطقة وشعوبها فهناك شبه اتفاق على أن الملف النووى الإيرانى سيتم تسويته بأسلوب الصفقة، وهو أسلوب معروف فى المفاوضات السياسية وهو دع الجميع يكسب والمؤلم أننا سنكون حينئذ الطرف الوحيد الخاسر لأن الصفقة ستتم بشروط أمريكيه تتمثل أساسا فى القضاء على المقاومة وهو أمر بالتأكيد ستوافق عليه إيران إذا على النصيب المأمول من الكعكه فمتى يفيق العرب.

ولأننى باحث مسلم لا أتخلى بتاتاً عن ثقتى بالله وبأنه يملك مقاليد السموات والأرض أقول كما قال الله: (ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً)، وأقول أن المطلوب منا أن نتحرك على المسار الصحيح أخذاً بالأسباب وإعذاراً إلى الله عزوجل كل فى موقعه، وأذكر بما تعلمناه من أوليات فى علم السياسة فى أن الداخل القوى المتماسك هو البداية الصحيحة للسياسة الخارجية الراشدة، فأزماتنا أعقد من أن يحلها فصيل واحد مهما كانت قوته.

موسوعة مصطلحات الشيعة (١٢)
(حرف الزاء - السين)

إعداد: هيثم الكسواني - خاص بـ «الراصد»

الزرارية:

جماعة شيعية من أتباع زرارة بن أعيَن، الذي أدرك الأئمة: محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم. وفي كتابه «الفرق بين الفرق» يقول الإمام عبد القاهر البغدادي عن زرارة: «وكان على مذهب الأفطحية القائلين بإمامة عبد الله بن جعفر، ثم انتقل إلى مذهب الموسوية، وبدعته المنسوبة إليه قوله بأن الله عزوجل لم يكن حيّا ولا قادرا ولا سميعا ولا بصيرا ولا عالما ولا مريدا، حتى خلق لنفسه حياة وقدرة وعلما وإرادة وسمعا وبصرا، فصار - بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات - حيّا قادرا عالما مريدا سميعا بصيرا».

ويبين الدكتور طه الدليمي في كتابه «أسطورة المذهب الجعفري» أن زرارة بن أعيَن هو أحد أربعة رواة عليهم مدار روايات الشيعة الإمامية، رغم الأقوال المنسوبة للأئمة، المصرحة بكذبه وانحرافه، والمطالبة بلعنه، ومنها ما رُوي عن أبي عبد الله أنه قال: «زرارة شر من اليهود والنصارى، ومَن قال إن الله ثالث ثلاثة. إن مرِض فلا تعُدْه، وإن مات فلا تشهد جنازته».

الزكي:

لقب يطلقه الشيعة على الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولد الحسن في السنة الثانية للهجرة، وتوفي في سنة ٥٠هـ (وقيل غير ذلك)، والحسن، عند الشيعة الإثنى عشرية، هو ثاني الأئمة المعصومين.

الزهراء:

لقب لفاطمة بنت النبي ﷺ، وهي عند الشيعة الإثنى عشرية من المعصومين الأربعة عشر (إضافة إلى الرسول ﷺ والأئمة الإثنى عشر) وقد شاع عند الشيعة التسمي بعبد الزهرة، وهي تسمية لا تجوز.

زيارة الإئمة:

وضع الشيعة فضلاً كبيراً لمن يزور قبور أئمتهم ومقاماتهم، وفي مقدمتها: مقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مدينة النجف، ومقام الحسين في كربلاء، وكلاهما في العراق.

واخترعوا في سبيل ذلك روايات كثيرة نسبوها للأئمة، منها قولهم، كما في بحار الأنوار للمجلسي: «إن قبر أمير المؤمنين (أي علي) يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون»، ونسبوا لأبي الحسن الأول قوله، كما في فروع الكافي: «من أتى الحسين عارفا بحقه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وفضّل الشيعة هذه المراقد والقبور على الكعبة والحرمين الشريفين، وجعلوا زيارتها أفضل من أداء الحج، وقد شاع في كتبهم العقائدية قولهم:

وفي حديث كربلا والكعبة ... لكربلا بان علو الرتبة

وفي فروع الكافي أيضا عن بشير الدهان، قال: قلت لأبي عبد الله (ع) (أي جعفر الصادق): ربما فاتني الحج فأعرِّف عند قبر الحسين (ع) (أي أقف كما أقف بعرفة) فقال: أحسنت يا بشير، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عارفا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عدل.

ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة غزوة

مع نبي مرسل أو إمام عدل. قال قلت له: كيف لي بمثل الموقف (أي عرفة)؟ قال: فنظر إليّ شبه المغضب ثم قال لي: يا بشير، إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين (ع) يوم عرفة واغتسل من الفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها، ولا أعلمه إلاّ قال: وغزوة».

الزيدية:

إحدى فرق الشيعة الثلاث الكبرى، والتي ما يزال لأتباعها وجود إلى اليوم، إضافة إلى الإثنى عشرية والإسماعيلية. وتنتسب الشيعةُ الزيدية إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠ – ١٢٢هـ)، الذي ثار على الدولة الأموية زمن حاكمها هشام بن عبد الملك.

وبالرغم من أن الزيدية هي إحدى فرق الشيعة، إلاّ أنه كان لها نصيب وافر من كُره الشيعة الإثنى عشرية، لأن الزيدية لا تؤمن بالإمامة على النحو الذي تؤمن به الإثنى عشرية، وقد جاء في الكافي للكليني أن عبد الله بن المغيرة قال لأبي الحسن عليه السلام: إن لي جارين أحدهما ناصب (أي سني) والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيّان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام من وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، وقال إن هذا نصب لك، وهذا الزيدي نصب لنا».

وتنقسم الشيعة الزيدية إلى ثلاث فرق هي: الجارودية والسليمانية (تلقب أيضا بالجريرية) والبترية، ويتركز أتباعها حاليا في شمال اليمن، وتعتبر الجارودية أقرب طوائف الزيدية إلى الإثنى عشرية، وتشترك معها في بعض العقائد والسلوكيات، كسَبِّ الصحابة، لذلك اعتبر شيخ الشيعة، المفيد، في كتابه «أوائل المقالات» أن الجارودية هي الشيعة، وما عداها من الزيدية ليسوا بشيعة.

زين العابدين:

لقب يُعرف به علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والذي يلقب أيضا بالسجاد. قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»: «أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علما ودينا».

وزين العابدين، عند الشيعة الإثنى عشرية، هو رابع الأئمة المعصومين. ويبين الإمام ابن تيمية أن ما يدّعيه الشيعة من أن الرسول ﷺ هو الذي لقّبه بزين العابدين «لا أصل له، ولم يروِه أحد من أهل العلم والدين».

سامراء:

مدينة عراقية معظم سكانها من السنة، وتقع شمال العاصمة بغداد، ويولي الشيعة هذه المدينة أهمية لكونها تضم مرقد الإمامين العاشر والحادي عشر من أئمة الشيعة الإثنى عشرية، وهما: علي الهادي والحسن العسكري، إضافة إلى وجود الموقع الذي يعتقد الشيعة أن مهديهم المنتظر اختفى فيه وسيخرج منه (انظر أيضا: سرداب الغيبة).

السبئية:

يقول فيهم عبد القاهر البغدادي، في كتابه الفرق بين الفرق: «السبئية: أتباع عبد الله بن سبأ، الذي غلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبيا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة، ورُفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين.. ثم إن عليا رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم مخافة شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن، فلما قُتل علي رضي الله عنه، زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، وأن عليا صعد إلى

السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام..».

ويذهب مجموعة من الباحثين والمحققين إلى أن عبد الله بن سبأ، الذي كان يهوديا وأعلن إسلامه، هو مؤسس مذهب الشيعة، واللبنة الأولى في بنائه، حيث كان أول من قال بفكرة «الوصي»، وملخصها أن لكل نبي وصيّا وأن وصي الرسول ﷺ هو علي بن أبي طالب.

السجّاد:

انظر: زين العابدين

سرخوب:

لقب أطلقه محمد بن علي الباقر، خامس الأئمة المعصومين عند الشيعة الإثنى عشرية، على أبي الجارود زياد بن أبي زياد، الذي تنسب إليه فرقة الجارودية، وهي من الشيعة الزيدية، وقد فسره الباقر بأنه شيطان يسكن البحر.

وقد قال أبو حاتم بن حبان في أبي الجارود: «كان رافضيا يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، ويروي في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم أشياء ما لها أصول..».

السربدارية:

دولة شيعية تأسست في خراسان، في إيران، في القرن الثامن الهجري، بعد تفكك دولة بني هولاكو، وتمرد أمراء المغول، واستقلالهم بما تحت أيديهم، وتشتتهم إلى دول صغيرة. ويبين الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» أن قيام هذه الدولة جاء من غير تخطيط، ويقول إنه في يوم من الأيام، دخل أحد الجنود المغول الذين كانوا قد اعتادوا على النهب والسلب دار زعيم الشيعة، حسن الجوري، وصار يأخذ منها ما يحلو له، والجوري ينظر إليه بصمت وحسرة، ولا يفكر بمقاومته، إلى أن وقعت عين الجندي على زوجة الجوري، فوضع يده عليها، وأراد أن يأخذها مع الغنائم، فتوسل إليه أن ياخذ كل ما يريد، ويترك زوجته، ولكن الجندي أصرّ على أخذها، فما كان من الجوري إلاّ أن فقد صبره، وسحب سيفه، وقتل الجندي المغولي، وعندما جاء رفاقه المغول للانتقام له، اشتعلت الثورة بالصدفة، واكتشف الشيعة ضعف المغول، وقوتهم هم، فسيطروا على المنطقة، وأقاموا حكومة شيعية في خراسان من سنة ٧٣٨هـ إلى ٧٨٢هـ، حيث قضى عليها بعد ذلك زعيم المغول تيمورلنك.

ويشير الكاتب أن زعيم الشيعة حسن الجوري كان، قبل ذلك، يترقب خروج المهدي المنتظر، وكان يخرج مع أصحابه صباح كل يوم جمعة فرساً وسيفاً، وينادون المهدي، ويستغيثون به للظهور، ويتضرعون لإنقاذهم مما هم فيه من اضطهاد.

سرداب الغيبة:

يعتقد الشيعة أن مهديهم المنتظر سيخرج من سرداب في مدينة سامراء، في العراق، وهو نفس السرداب الذي اختفى فيه عن الأنظار، ويسمونه: سرداب الغيبة. وقد حاز هذا السرداب على أهمية كبيرة عند الشيعة الذين يتوافدون إليه للتبرك ومناشدة المهدي بالخروج.

ويبين د.ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن الشيعة اخترعوا لزيارة هذا السرداب بعض الطقوس والأدعية، وردت في كتب الشيعة كبحار الأنوار للمجلسي، ومصباح الزائر لعلي بن طاوس، والمزار الكبير لمحمد المشهدي، وغيرها، وجاء فيها: «ثم ائت سرداب الغيبة وقِف بين البابين، ماسكا جانب الباب بيدك، ثم تنحنح كالمستأذن، وسمِّ وانزل، وعليك السكينة والوقار،

وصـلِّ ركعتـين في عرضـة السـرداب وقـل: ..اللّهـم طـال الانتظار، وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار، اللهم أرِنا وجه وليّك الميمون، في حياتنا وبعد المنون..».

وتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة» عن بعض أفعال الشيعة عند السرداب، فقال: «ومن حماقاتهم أيضا: أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذي بسامرًّا الذي يزعمون أنه غائب فيه، ومشاهد أُخر، وقد يقيمون هناك دابّة – إما بغلة وإما فرسا وإما غير ذلك – ليركبها إذا خرج.

ويقيمون هناك إما في طرفي النهار وإما في أوقات أخرى من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقات دائماً لا يصلي، خشية أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته..».

السطوح:

تمثل «دراسة السطوح» ثاني مراحل الدراسة الحوزوية عند الشيعة الإثنى عشرية، بعد دراسة المقدمات، والمقصود بالسطح: سطح الكتاب، وتلي هذه المرحلة: بحث الخارج.

السفراء الأربعة:

أربعة أشخاص من الشيعة ادّعوا أنهم ينوبون عن المهدي المنتظر خلال غيبته الصغرى التي امتدت ٧٠ سنة (٢٦٠، ٣٢٩هـ)، وبحسب الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي» فإن هؤلاء النواب الأربعة كانوا يدّعون مشاهدة المهدي واللقاء به، وإيصال الأموال إليه، ونقل الرسائل، و(التواقيع) منه إلى المؤمنين به.

وهؤلاء السفراء هم:

١- أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري

٢- أبو جعفر محمد بن عثمان العمري

٣- أبو القاسم الحسين بن روح

٤- أبو الحسن علي بن محمد السمري (وتكتب أيضاً: السيمري أو الصيمري)

ويبين د.ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن الحصول على أموال الشيعة بحجة تسليمها للإمام الذي لا وجود له كان هو الهاجس الأكبر عند هؤلاء السفراء، وعند عدد آخر من الشيعة ادّعوا هم أيضا أنهم نواب أو وكلاء للمهدي، ما جعل خلافاتهم تظهر للسطح، وتثير الشكوك بوجود المهدي.

وعندما وصلت دعوى الغيبة إلى طريق مسدود، أخرج شيوخ الشيعة توقيعا منسوبا للسمري عن المهدي المنتظر، بأن وقت الغيبة الكبرى قد حان، وأن السمري ميت عما قريب، وأن عليه ألاّ يوصي لأحد من بعده بالنيابة.

السفياني:

يدّعي كتاب «أحمدي نجاد والثورة العالمية المقبلة» الصادر سنة ٢٠٠٦ عن دار العلم في بيروت، وهو أحدث الكتب الشيعية التي تناولت موضوع قرب ظهور المهدي، لمؤلفه شادي فقيه، أنه قبل ظهور مهدي الشيعة بستة أشهر، يقع انقلاب عسكري في سوريا، يأتي بقائد سوري عميل لأميركا وإسرائيل، لقبه السفياني، يبث نفوذه داخل سوريا والعراق والأردن ولبنان، وتدخل قواته إلى الحجاز لقمع ثورة شيعية في المدينة المنورة، ثم يدخل العراق ليقتل الشيعة، ويدخل لبنان لقتال «المجاهدين» ويحاصرهم في جبل عامل لكنه يجد منهم الشدة والقوة.

وفي أثناء حصار السفياني لجبل عامل وقتاله للشيعة في العراق، تبدأ أخبار ظهور المهدي.

سيد العرب:

لقب أطلقه الشيعة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، زاعمين أن النبي ﷺ، هو الذي سماه بذلك، إضافة إلى ألقاب أخرى، مثل: سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، وسيد الأوصياء،..

وروى شيخهم ابن بابويه القمي، الملقب عندهم بالصدوق، في كتابه «الأمالي» عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقبل علي بن أبي طالب (عليه السَّلام)، فقال: هذا سيد العرب. فقلت: يا رسول الله ألستَ سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب فقلت: وما السيد؟ قال: مَنْ افتُرِضَتْ طاعتُه كما افتُرِضَتْ طاعتي».

السيدة زينب:

هي زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها، الملقبة عند الشيعة بالعقيلة زينب (ت ٦٢هـ) ولها مقام في وسط القاهرة القديمة، في الحي أو الميدان الذي يحمل اسمها، وكان فيما سبق يسمى «قنطرة السباع»، ويشكك كثير من الباحثين في صحة نسبة المقام لها، ولزينب مقام آخر في سوريا، بالقرب من دمشق، في منطقة تسمى بالسيدة زينب.

وبحسب كتاب «الشيعة في مصر» لجاسم عثمان مرغي، فإن علماء الشيعة ومؤرخيهم يميلون إلى أن المقام الذي بدمشق هو الذي دفنت فيه زينب بنت علي، أما المقام الذي بالقاهرة فدفنت فيه زينب أخرى، هي: زينب بنت أحمد بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن محمد المعروف بابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب.

سيد الشهداء:

لقب يطلقه الشيعة على الحسين بن علي رضي الله عنها.

سيد شهداء المقاومة:

لقب يطلقه الشيعة على الأمين العام السابق لحزب الله الشيعي اللبناني عباس الموسوي (ت ١٩٩٢م).

سيد المقاومة:

لقب يطلقه الشيعة على الأمين العام لحزب الله الشيعي اللبناني حسن نصر الله.

سيف الشيطان:

لقب أطلقه الشيعة على سيف الله المسلول، خالد بن الوليد، رضي الله عنه، زاعمين أن خالداً اتفق مع أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، على قتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

إيران تستيقظ
مذكرات الثورة والأمل

إعداد: شيرين عبادي – خاص° بالراصد

هذا الكتاب هو مذكرات أو سيرة ذاتية للإيرانية شيرين عبادي، القاضية التي حصلت على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٣، وقد صدرت الطبعة العربية من هذا الكتاب عن دار الساقي سنة ٢٠١٠ في ٢٥٦ صفحة.

وتنتمي شيرين للتيار العلماني المعارض لنظام الملالي، لكنها بدأت طريقها السياسي من خلال المعارضة لنظام الشاه، وتنقل شيرين موقفاً ذا دلالة بالغة حين اقتحمت برفقة بعض أعوان ثورة الخميني مكتب وزير العدل قبل قدوم الخميني، فخاطبها أحد أقدم القضاة: أنت من بين جميع الناس لمَ أنت هنا؟ ألا تعلمين أنك تدعمين أناساً سينتزعون منك وظيفتك؟

وهذا ما حدث لشيرين فعلاً فقد نُقلت لوظيفة إدارية، وهذا يذكرنا بدعم كثير من العلمانيين العرب للسياسة الإيرانية رغم تباين مرجعياتهم الفكرية، فهل النموذج الإيراني في الحكم هو موضع ترحيبهم يا ترى؟؟

وتشرح شيرين بتحفظ التاريخ القاسي للثورة ومدى الظلم الذي أوقعته على المؤيدين والمعارضين وعامة الشعب، وعن الحرب مع العراق، لكنها لكونها لا تزال تحرص على الإقامة في طهران لا تتعمق كثيراً في التفاصيل لكي لا تصبح هي موضوعاً لهذه التفاصيل!!

وتذكر شيرين أن بداية معارضتها الصامتة للثورة كانت حين ألزمت بالحجاب وأقصيت عن القضاء، لكن حين طالعت مسودة قانون العقوبات بدأت معارضتها العملية للثورة، وهذا ينبه لموضوع خطير يستحق الدراسة وهو ما مدى سلامة القوانين الإيرانية من الناحية الشرعية، وهل هي تعبر حقاً عن روح الشريعة؟

المهم في مذكرات شيرين هو كشفها للوحشية والإرهاب الذي يمارسه النظام الإيراني مع معارضيه في الداخل والخارج، وهو النشاط الذي

ركزت شيرين على القيام به من خلال ممارستها للمحاماة وتولي القضايا ذات البعد السياسي والحقوقي المدني، وتكشف شيرين من خلال عدة قصص لقضايا تولتها أنها اكتشفت أسلوباً جديداً للنظام في التعامل مع معارضيه يقوم على استخدام أساليب متطورة من التعذيب والترهيب لا تترك علامات وأثاراً على أجساد الضحايا، كالحرمان من النوم، أو القيام بإعدام مزيف، أو الحجز في جحور ضيقة جداً، لكن مع هذا يتم إرغامهم على تسجيل اعترافاتهم على شريط مصور يذاع لاحقاً لتحطيم السمعة وتشويه التاريخ الشخصي للمعارضين. وهذه الاعترافات المصورة لجأ إليها نظام بشار الأسد في قمع الثورة الشعبية ضده.

ويبدو أن الأسد لجأ لأسلوب إيراني آخر أشارت إليه شيرين وهو الشرطة المدنية التي تهاجم التجمعات المناهضة للنظام وتعتدي على المعارضين وتفلت من العقاب والاتهام، كشبّيحة بشار الأسد.

وترصد شيرين فرحة الشعب الإيراني بفوز محمد خاتمي عام ١٩٩٧م بمنصب الرئاسة واعتقاد الشعب بأن الأمور لن تعود للوراء بعد ذلك، لكن سرعان ما تبخر الأمل حين هاجمت قوات الأمن سكن طلاب الجامعة بطهران عام ١٩٩٩ وقتل طالب وأصيب العشرات منهم، وعمّت العاصمة طهران موجة من الاضطرابات لمدة خمسة أيام، وفي اليوم السادس هاجم خاتمي الطلبةَ المحتجين على سلسلة الاغتيالات للنشطاء السياسيين!! وتعتقد شيرين أن هذه الأحداث نقلت تركيز خاتمي من محاولة تغيير إيران إلى منع حصول هذا مستقبلاً والحفاظ على الوضع القائم!! ولذلك كانت حناجر الطلبة في احتجاجات ٢٠٠٣ تهتف ضد خاتمي وتقول: خاتمي صمتك يدافع عن هذا القتل، فلا يتفاءل البعض كثيراً بالإصلاحيين.

وتبين شيرين أن تطور وسائل الاعلام والاتصال كان له دور فعال في زعزعة النظام وإجباره على تغيير بعض سلوكه، وهذا يفتح الباب للتفكير بشكل أعمق بما يجب أن تركز عليه الضغوط الإعلامية تجاه هذا النظام القمعي، كما تؤكد شيرين أن التركيز على انتهاك إيران لحقوق الإنسان يؤثر كثيراً في النظام ويجبره على تعديل سلوكه، وهذه قضية يجب أن تهتم بها قوى المعارضة، وترى شيرين أن تهديد إيران بالقوة العسكرية يتيح لها قمع معارضيها بخلاف استخدام دبلوماسية الضغط في حقوق الإنسان.

في الخاتمة تفصح شيرين عن حكاية تراجيدية للبيروقراطية الرسمية التي تعمّ العالم، حيث أن لوائح العقوبات الأمريكية ضد إيران تمنع نشر كتاب لمؤلف إيراني ولو كان معارضاً أو حاصلاً على جائزة نوبل، على غرار القانون الإيراني الذي يقمع الحريات في وسائل الإعلام والإنترنت!! ولم تتجاوز شيرين هذا العائق إلا برفع قضية على وزارة الخزانة الأمريكية!!



من أجل هذا تعاونوا على احتلالها!!

قالوا: «جمهورية إيران تَعتبر أمن أفغانستان من أمنها، وكرست قدراً كبيراً من الجهود لتحقيق الاستقرار في أفغانستان وستستمر في تقديم العون في هذا الصدد».

أحمد وحيدي وزير الدفاع الإيراني

مفكرة الإسلام ١٦/ ٦/ ٢٠١١

ميليشيات علنية وشرعية!!

قالوا: «إن عناصر جيش المهدي قنابل موقوتة بيد الصدر والحوزة»!!

القيادي في التيار الصدري حازم الأعرجي

الجزيرة نت ٢٨/ ٥/ ٢٠١١

الحل الوحيد للخليج!!

قالوا: «التاريخ ليس حفلة شاي.. التاريخ نهر جارف تكون أو لا تكون فإما أن تفهم ما يدور من حولك من أحداث جيدا أو تغرق ويجرفك التيار بعيدا.. أنا اقول أن دول مجلس التعاون الخليجي الآن وفي وضعها الحالي سفينة تغرق.. وعندما تغرق السفينة يقول قائدها اتركوا السفينة.. ولذلك أؤكد أنه لابد من وجود خطة إنقاذ للسفينة وعدم تركها تغرق وخطة الإنقاذ تكمن في تكوين الكونفدرالية بين دول الخليج بأسرع ما يمكن وقبل أن يفوت الأوان».

د.عبدالله النفيسي

إيلاف ٩/ ٦/ ٢٠١١

عمالة قديمة

قالوا: «إنها ليست المرة الأولى التي يزور (علاء أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية) فيها إيران فقد سبق له زيارتها أعوام ١٩٩٧، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، حيث شارك في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة، ومؤتمر النظرية المهدوية الذي ناقش الاعتقاد الشيعي بأن المهدي موجود وأن سيظهر في هذا العصر.

وأكد أبو العزائم أن إيران حريصة جدا على إقامة علاقات اقتصادية وثقافية متينة مع مصر، لكنه قال إن هناك قوى خليجية وأجنبية لا تريد إقامة علاقات قوية بين البلدين وكانت آخرها (زومبة) الدبلوماسي الإيراني الذي اتهم بالتخابر لصالح إيران».

المصريون ٩/ ٦/ ٢٠١١

الحداثة الدموية

قالوا: «أدونيس الشاعر لم ينجُ من المشي في المواربة، وظلَّ منذ بداياته يتحدَّثُ عن القطيعة مع الماضي، ويفعَلُ عكسها. ويتمظهر العكس تماما في رفضه في بداية الثورة السورية أنْ تكون مشكلة المثقف محصورة بتغيير النظام، وإصراره على أنَّ ما يحدثُ عربيًّا تمرّد وليس ثورة، لسبب جد بسيط يكمن في أنه يرفض الانضمام لأي مظاهرة تنطلق من المساجد،.

وما زاد الطين بلة أنَّه أعلن أيضا عن صعوبة الوضع في سورية، وتخوَّفَ على النسيج الاجتماعي، محذرا من تحول الثورة إلى حرب أهلية،.. في بداية الثورة لم يقطع أدونيس بضرورة التخلص من النظام، والأنكى أنَّه حاوَلَ إيجاد مخرج من خلال حث حزب عقائدي يحكم منذ ٤٠

عاما، بمراجعة الأخطاء، وتجديد نفسه، رغم أنَّهُ يعترف أنَّ كل إيدولوجيا هي نفي للديمقراطية.

أما الأخطر من هذا وذاك، فهو في نسيانه لعذابات الشعب السوري ودمه الذي سال في مختلف الشوارع، ومطالبته بعقد مصالحة قد تستمر لمدة أربعينَ عاما أخرى، ليعمل فيها القاتل بكل طاقته، ويطور مصطلح الشبيحة، ويطعمه بالبلطجية أو الفتوات التي يمكن أن تستورد من دول الجوار، إضافة إلى المدار الإقليمي».

زياد العناني

الغد ٢٦/٦/٢٠١١

عفو خبيث!!

قالوا: «إن الإفراج عن الإرهابي سعد عبدالكريم الذيابي والمحكوم بالإعدام بسبب مشاركته بتفجيرات المقاهي الشعبية لا يجوز، فهو أمر خطير على الأمن الكويتي، وثانيا إن أهالي الشهداء الكويتيين لم يتنازلوا عن حقهم، والمصيبة تزامن الإفراج مع زيارة الوزير الإيراني».

النائب الدكتور وليد الطبطبائي

شبكة الدفاع عن السنة ٢٥/٥/٢٠١١

تجسس لا ينتهي

قالوا: «إن ضابطاً في مباحث أمن المنشآت ألقى القبض على عقيد متقاعد من الجيش الكويتي، يعمل حالياً في شركة أمنية في الحقول النفطية، قام بإدخال مجموعة من الإيرانيين إلى الحقول النفطية بعد تزوير هوياتهم واستبدالها بهويات عمل لعمّال هنود».

شبكة الدفاع عن السنة، ٢٢/٥/٢٠١١

بسبب الخلافات تظهر الحقيقة!!

قالوا: «ما يحدث في سوريا حركة شعب مقاوم وإن الوعي الشعبي في المنطقة لن يرحم حكامها».

هاشمي رفسنجاني

العربية نت ٢٨/٥/٢٠١١

سامبي رسول التشيع الإفريقي!!

قالوا: «أطلقت مؤسسة فاطمة الرافضية مشروع بناء مقر مؤسستها بجزر القمر بمنطقة هاهايا على طريق المطار، وشارك في وضع حجر الأساس رئيس الدولة أكليل ظنين.. والرئيس السابق أحمد سامبي.. كما أعلن مدير المؤسسة رضا بير زمان أنها اختارت الرئيس السابق أحمد عبدالله سامبي رئيس شرف للمؤسسة في أفريقيا وجزر القمر.. وقد أعلنت المؤسسة سابقا أنها رصدت ٢ مليار يورو لمشاريعها بجزر القمر.. وهذا ما كانت نشرته بعض المواقع الرافضية قبل سنوات أن الرئيس سامبي بعد ترجله عن كرسي الرئاسة بجزر القمر سيتفرغ لنشر عقيدة آل البيت في أفريقيا..».

صحيفة البلد بجزر القمر

٢٠/٦/٢٠١١

خطوة صائبة

قالوا: «عقد مساء أمس الاول اجتماع بين مسئولي الإذاعة والتلفزيون بجمهورية جزر القمر ومسئولي الإذاعة والتلفزيون والشئون الهندسية بوزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية وذلك بمقر الإذاعة بجدة، وتم خلال الاجتماع مناقشة إعادة بث إذاعة نداء الإسلام على موجات Fm في جزر القمر وكذلك إعادة بث قناة القرآن الكريم السعودية على التلفزيون القمري، كما تم مناقشة تدريب المذيعين من جزر القمر في الإذاعة والتلفزيون السعودي وتبادل البرامج الإذاعية والتلفزيونية بين البلدين إلى جانب اقتراح برنامج تدريبي باللغة العربية لمذيعي جزر القمر في أحد المعاهد المتخصصة في الجامعات العربية».

صحيفة الندوة السعودية

١٩/٦/٢٠١١

مؤتمر الدولي للتصوف

برعاية الرئيس العراقي ومشاركة أكثر من ٢٠ دولة إسلامية

موقع الصوفية

تحت عنوان «دور التصوف في نشر المحبة والسلام في العالم» وعلى مدى يومين متتاليين انطلقت الثلاثاء ٣/ ٥/ ٢٠١١ في مدينة السليمانية في إقليم كردستان العراق فعاليات المؤتمر والملتقى الدولي الثالث للتصوف الإسلامي، برعاية رئيس الجمهورية العراقية «جلال طالباني» ومشاركة أكثر من ٢٠ دولة إسلامية.

وتماشيا مع النهج الصوفي شهدت الفعاليات على مسرح القاعة ترديد فرقة إنشادية لبعض ترانيم المديح المصحوبة بالدفوف، على غرار ما تقيمه بعض الطرق الصوفية في المناسبات والموالد.

وضمن التغطيات الإعلامية للفعاليات صرح أكثر من متحدث من مشايخ الصوفية بأن المؤتمر يهدف لنشر رسالة السلام الإسلامية، ومحاربة الإرهاب والتطرف؛ الأمر الذي عدّه محللون نوعا من المزايدة والاستفادة من الأحداث الجارية، بالتزامن مع إعلان «واشنطن» قتل زعيم تنظيم القاعدة «أسامة بن لادن».

الصوفية في الميدان:

وفيما بدا محاولة لإبراز الحضور الصوفي في ميدان الأحداث المستجدة على الساحتين العربية والإسلامية، من خلال المزايد على قضايا الأمن والسلام، والدندنة حول محاربة التطرف والإرهاب، أكد مشاركون بالمؤتمر في تصريحات عديدة أن الهدف الرئيس من المؤتمر هو نشر السلام العالمي ومحاربة الفكر الإرهابي المتطرف.

فمن «البقاع» بلبنان أكد الشيخ «عبدالقادر علي» إن الغرض الرئيس من المؤتمر الدولي للتصوف هو نشر الوحدة بين المسلمين وإيصال رسالة السلام الإسلامية لغير المسلمين.

وأضاف «عبدالقادر» أن التصوف في حقيقته هو مذهب إسلامي قديم يرجع إلى عهد النبي ﷺ وإلى ما يسمى بأهل الصفة، وسار على طريقه جمع غفير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وله أتباع ومريدون وطرائق من شتى دوال العالم. على حد قوله.

وأوضح «عبدالقادر» أن عقد هذا المؤتمر في دورته هذه في كردستان العراق (بعد عقده في لبنان في الدورتين السابقتين) جاء ليضيف معنى آخر من معاني هذا المؤتمر وأهدافه التي نسعى لتحقيقها، واقعيا وعلى ارض الواقع وليس حبرا على ورق؛ وهو تحقيق الوحدة الإسلامية وإثبات أن المسلمين في كل بقاع الدنيا هم أمة واحدة، وتوصيل رسالة الإسلام الحقيقية من خلال التصوف الملتزم المتبع للهدي الشريف.

من جهة أخرى، وفي سياق المزايدة على قضايا الإرهاب والتطرف، علّق الشيخ «علي عبد-الخفاجي» - مدير مؤسسة الحوار الإنساني بكردستان – على خبر مقتل زعيم تنظيم القاعدة «أسامة بن لادن» بأن الفكر لا يموت بموت شخص كان يعتقده،

بل يعالج بالحوار والنصح، على حد قوله.

وعلى صعيد ذي صلة أكدت العشائر العراقية حضورها في المؤتمر وأهمية دورها في محاربة الإرهاب والتطرف، من أجل تحقيق الأمن في العراق، وقال الشيخ «باسم الحجامي» - ممثل المركز الثقافي للعشائر العراقية في بغداد – في تصريح لبعض الفضائيات: إن العشائر العراقية هي الداعية للسلام، وهي مع كل من يريد السلام للعراق، ومع جميع المحافل والمؤتمرات التي تعمل على تحقيق ذلك.

محاور المؤتمر:

وحول محاور المؤتمر وموضوعاته، التي تظهر للصوفية دورا فوق ما كان معهودا فيما مضى، أشار الشيخ «حسين محمد البير خضري» - رئيس مركز الثقافة والتصوف بإقليم «كردستان» - إلى أن المؤتمر تضمن عدة محاور مهمة في تاريخ الأمة، منها:

- أهمية التصوف في إرساء مفاهيم المحبة بين الإنسان وربه والبشر كافة.
- الارتقاء بدور التصوف في نشر التسامح وصناعة السلام العالمي.
- زيادة الترابط الاجتماعي والإنساني في المجتمعات العربية والإسلامية.
- الإسهام الصوفي في الإصلاح الروحي والمادي.
- دور علماء التصوف في استنهاض الأمة لاستعادة مكانتها.

كما عُني المؤتمر – وفقا لتصريح «حسين خضري» للوكالة الإخبارية للأنباء - بعرض لتصحيح مسار التصوف، وتاريخ المدارس الصوفية في العالم العربي وامتداداتها في العالم الإسلامي في تاريخ الأمة، وحاضرها ومستقبلها.

الإفتاء المصرية.. مشاركة ومباركة:

واعتبر من أبرز المشاركين في المؤتمر والملتقى الدولي الثالث للتصوف الإسلامي بالعراق دار الإفتاء المصرية، حيث أناب مفتي مصر «علي جمعة» مستشاره الأكاديمي الدكتور «مجدي عاشور» للمشاركة في فعاليات المؤتمر ومناقشاته.

وذكرت صحيفة «الأهرام» المصرية - نقلا عن الدكتور «إبراهيم نجم»، المستشار الإعلامى للمفتي، أن دعوة «الإفتاء» المصرية للمشاركة وصلت من كل من الشيخ «حسين محمد البير خضري» رئيس مركز الثقافة والتصوف بكردستان العراق، والدكتور «عبدالناصر الجبرى» رئيس معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية ببيروت.

ومن جهته أكد مستشار مفتي الديار المصرية د «مجدي عاشور» أن هذا المؤتمر مهم للغاية بالنظر إلى الظروف الصعبة التي نعيشها جميعا ويمر بها العالم؛ مشيرا إلى أن دين الإسلام كان ولا يزال دين المحبة والتسامح والسلام، وأن الإسلام يدعو على الدوام للتعايش السلمي بين جميع الأطياف.

ويرى مراقبون أن المشاركة المصرية في المؤتمر تؤكد اهتمام دار الإفتاء بالشأن الصوفي، بالتزامن مع تصريحات في الآونة الأخيرة لمفتي مصر شدد فيها على عمق التيار الصوفي في مصر، وهاجم بعبارات حادة من يحاربون التصوف، حيث نسبت إليه صحيفة «اليوم السابع» قوله: «إن الله من على مصر بأن وجد الإسلام بها ونرى الأزهر الشريف لا ينتمي إليه إلا من كان أشعريا أو صوفيا، فالتصوف رسالة من الرسائل التي يحافظ عليها المصريون، وهو الذي يعطى الشريعة وسطيتها والإسلام روحه ولهذا الدين معناه، ولقد عجبنا ممن يحاربون التصوف فكانت ليلتهم ظلماء وليلتهم أسود من قرن الخروب».

الختام والتوصيات:

وفي ختام أعماله في السليمانية خرج مؤتمر التصوف الدولي الثالث بالعديد من التوصيات، أكدت مزايدته على قضايا الإرهاب والتطرف، والدندنة من خلالها على قيم عامة للبشرية، بالإضافة إلى إبراز مساعي الصوفية لأدوار أوسع على الساحة،

فمما جاء في التوصيات:

- تأكيد ضرورة نشر معاني المحبة والسلام في العالم.

- إنشاء رابطة عالمية لأهل التصوف لتصحيح المفاهيم المتشددة.

- تأكيد أن يكون لأهل التصوف دورٌ بارز بنشر رسالتهم الأخلاقية وعدم السماح للجهات التكفيرية بزرع ثقافتها الإجرامية داخل المجتمعات الإنسانية.

وكانت مناقشات المؤتمر تناولت العديد من القضايا تحت شعارات التسامح والمحبة واحترام الديانات على الطريقة المتصوفة التي تعتبر السلام والمحبة شعارها وهدفها السامي، والطريقة التي ترسمها رسالة الإسلام والمسلمين في العالم.

وفي هذا السياق قال عضو تجمع علماء المسلمين في لبنان «مصطفى ملص»: «قرر المشاركون في هذا المؤتمر عدم السماح بنشر دعاوى الحقد والكراهية والتباغض التي نراها في كثير من وسائل الإعلام التي جنّدت لها لنشر هذه الآفات في مجتمعنا الإسلامي؛ لذلك نحن نعتقد أن دور أهل المحبة والتصوف هو العمل على نشر مفاهيم رسالتهم الأخلاقية في المجتمعات».

الصوفية قادمة:

وهكذا يبدو المؤتمر والملتقى الدولي الثالث للتصوف الإسلامي أنموذجا للتوجه الصوفي المتنامي نحو كسب مساحات جديدة على أرض الواقع، من خلال التفاعل والتواصل مع الأحداث والمستجدات، والمزايدة على بعض القضايا، وتأكيد الحضور الصوفي القوي على الساحة.

ويأتي ذلك ضمن منظومة لا تخطئ عيون المحللين ترابط حلقاتها؛ من تصريحات عدائية تجاه التيارات المناوئة للصوفية تارة، وتصريحات إصلاحية تبشّر الناس بمبادئ دعوة التصوف تارة أخرى.

ويتساءل مراقبون إزاء هذه الملامح الجديدة غير المعهودة للدعوة الصوفية، التي عهدها الناس فيما مضى مجرد طرائق ومسالك منعزلة ومسالمة، قبل أن تخرج في هذا الثوب الجديد:

هل انتقلت الطرق الصوفية إلى طور جديد تعتمد فيه القوة والمواجهة والمراغمة وإثبات الذات بكل ما تستطيعه من عتاد وأنياب؟!

الشيعة والصوفيون يقدمون بلاغاً ضد رموز التيار السلفي

مفكرة الإسلام ٢٠١١/٦/٢

قدم عدد من قيادات الشيعة والطرق الصوفية ومن يسمون بالأشراف بلاغًا للنائب العام يتهم بعض الرموز وقيادات السلفية بإثارة الفتن الطائفية وإهانة الرموز الدينية والتحريض على هدم الكنائس والأضرحة وأرفقوا بالبلاغ «سى دى» مزعوم بعنوان كاميليا وأخواتها يتضمن مجموعة من المحاضرات وخطبًا لدعاة السلفية.

وقالت صحيفة المصري اليوم: «هذا سى دى يرسل خارج مصر ويوزع على المعتمرين فى مطارات السعودية لإشعال الفتن الطائفية بين الشعب المصرى وارتباط التيار السلفى المصرى بالسعودية كما يثبت أنهم وراء هدم الكنائس والأضرحة بسبب الفتاوى التكفيرية»، وفق زعم البلاغ.

وطالب البلاغ بالتحقيق مع جميع المتحدثين فى السى دى وهم الدعاة محمد حسان وياسر برهامى وأبوإسحاق الحوينى ومحمد الزغبى ومحمد عبدالمقصود واتخاذ الإجراءات اللازمة ضدهم، تحت ذريعة الحفاظ على أمن واستقرار السلم الاجتماعى.

وهدد مقدمو البلاغ بالاعتصامات والإضراب عن الطعام

واللجوء للمحاكم الدولية حال عدم التحقيق مع المتهمين وإعلان نتائج التحقيق وقال محمد الدرينى زعيم الشيعة بمصر رئيس ما يسمى «المجلس الأعلى لآل البيت»: «هناك تحركات محلية ودولية ستبدأ بعد ١٠ أيام فى حالة عدم استجابة النائب العام للبلاغ».

وأضاف الدرينى: السى دى تضمن إهانة للدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر والدكتور على جمعة مفتى الجمهورية والبابا شنودة وحال عدم محاكمة مشايخ السلفية سنطالب القوى الوطنية بمشاركتنا فى مليونية وسنلجأ إلى المحاكم الدولية.

وأردف أنه سيقدم للنائب العام أدلة ووثائق تكشف التمويل السعودى للسلفية فى مصر بهدف نشر الفكر الوهابى المحرض على إثارة الفتن بين المصريين مسلمين ومسيحيين وصوفية وسلفية، وفق كذبه.

وقال طاهر الهاشمى نقيب الأشراف بالبحيرة إن المتهمين جزء من مؤامرة تستهدف مصر لضرب استقرارها وأمنها ووحدتها الوطنية، على حد زعمه

على الجانب المقابل كشف الدكتور خالد السعيد المتحدث باسم الجبهة السلفية أن ظهورالشيعة الآن خطر على الأمن المصرى وهدفهم الآن محاربة السلفية التى تحمى مذهب أهل السنة فى مواجهة من يعملون بمخطط إيرانى.

ولفت إلى أنه سيقدم للمحاكم الدولية مستندات تدين الشيعة فى العراق بتهمة إبادة المسلمين السنة وأن لديهم مخططًا لتكرار ذلك فى مصر عن طريق نشر التشيع.

جدير بالذكر أن السلطات الأمنية المصرية كانت قد أوقفت قبل فترة ١٣ شابًا عراقيًا وسوريين وثلاثة مصريين لتورطهم في نشر المذهب الشيعي، وقامت بإنذارهم وتحذيرهم ثم الإفراج عنهم وإبلاغ الجهات المعنية برعايتهم لترحيلهم خارج البلاد.

ووردت معلومات إلى القيادات الأمنية في مدينة ٦ أكتوبر تفيد بقيام ١٨ شابًا عراقيًا وسوريًا ومصريًا بالدعوة إلى الفكر الشيعي، وأنهم اتخذوا من شقة أحدهم مقرا للتجمع وشرح دروس المذهب وتوزيع المطبوعات والمنشورات المحررة بمعرفة أئمة الفكر الشيعي في العراق وإيران.

وأفادت المعلومات بأن هؤلاء الأشخاص يتعمدون الإساءة إلى أئمة المذهب السني ومجموعة من الأئمة والصحابة والمبشرين بالجنة في دروسهم ومن خلال مطبوعاتهم التي يوزعها بعضهم في عدد من الجامعات الموجودة في المنطقة.

يشار كذلك إلى أن الدكتور محمد الشحات الجندي، أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كان قد أماط اللثام عن أن إيران تسعى جاهدة وبكل قوة لتصدير المذهب الشيعي إلى مصر والدول العربية لنشر مذهبها في المنطقة.

وقال إن هناك محاولات بالفعل من جانب إيران لتصدير المذهب الشيعي إلى مصر والعالم العربي، إلا أن الأزهر الشريف له دور فعال ومؤثر على مستوى العالم الإسلامي للتصدي لهذه المحاولات.

اجتماع للبهائيين والقاديين ببيروت لبحث اختراق المجتمع المصري بالمال والإعلام

حسين البربري – المصريون ٢٠١١/٦/١٤

علمت «المصريون»، أن عددا من قيادات الطائفة القاديانية والبهائية من مصر وإيران وباكستان وإيران التقوا أمس الأول ببيروت، وكان محور اجتماعهم بحث فرض التواجد الديني البهائي والقادياني في مصر مستغلين الأجواء التي تشهدها مصر في مرحلة ما بعد ثورة ٢٥ يناير.

وشارك في الاجتماع الذي عقد صباح الأحد بأحد الفنادق الكبرى في فيردان ببيروت أربعة مصريين هم: فايز جودة عبد القوي (بهائي) وسلامة صالح صالح (بهائي) وعادل شريف تهامي (بهائي) وربيع على ربيعي (قادياني)، وثلاثة إيرانيين وهم باكتر كرامي (قادياني) شير خدا بهدينى (قادياني) جمشيد فرزند (بهائي) وباكستاني واحد وهو حنيف نور الدين (قادياني) واللبنانيين وسيم دحدوح (بهائي) ولؤى شهاب الدين (قادياني).

وناقش الاجتماع خصوصا إقامة دعاوى قضائية أمام المحاكم الدولية لإجبار الحكومة المصرية على الاعتراف بالبهائية والقاديانية كديانة رسمية، وإطلاق قناتين فضائيتين على القمر المصري «النايل سات» بتمويل من الطائفة القاديانية وإشراك البهائيين في إدارتها، للانتشار بشكل أكبر في الأوساط المصرية والعربية.

وتطرق الاجتماع إلى الضغط من أجل إنشاء مساجد تابعة للطائفة القاديانية، من خلال تنظيم اعتصامات أمام وزارة العدل ورئاسة مجلس الوزراء، وإحداث الوقيعة بين «الإخوان المسلمين» والجماعات الإسلامية والشعب المصري والمجلس الأعلى للقوات المسلحة، ومحاولة الاستفادة من ذلك.

ودرس المجتمعون استقطاب المصريين من خلال تقديم الأموال للفقراء وإعطائهم إعانات شهرية وطباعة وتوزيع الكتب التي تتحدث عن الطائفتين، وإنشاء مواقع الكترونية وصحف اليكترونية، إضافة إلى إنشاء صفحات على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك».

ووفقا لمصادر، فإن الإيراني باكتر كرامي كان يعمل لحساب المخابرات الأمريكية في باكستان في تجنيد أفراد لضرب «القاعدة» في باكستان.

وكانت «المصريون» قد نشرت من قبل محاولات الطائفة القاديانية الترويج لنفسها بين المصريين من خلال توزيع منشورات على المارة بشارع طلعت حرب بوسط القاهرة.

والطائفة القاديانية هي فرقة نشأت في أواخر القرن التاسع عشر في شبه القارة الهندية مؤسسها ميرزا غلام احمد القادياني نسبة إلى بلدة قاديان في إقليم البنجاب في الهند، حيث وضع أسس جماعته عام ١٨٨٩ عندما صرح أنه «المهدي المنتظر».

وتقدمت الطائفة القاديانية منذ عدة سنوات بطلب لمجمع البحوث الإسلامية لدراسة فكرها، في سبيل الحصول على شرعية لعملها في مصر، لكن المجمع رفض الاعتراف بها، بوصفها مخالفة لصحيح الدين ومناقضة للعقيدة الإسلامية فهي جماعة- وكما أشار- مرتدة عن الإسلام وليس لها أن تدخل مساجد المسلمين.

وكانت القاديانية تمكنت من الانتشار خلال العقود الماضية في أفريقيا وأوروبا والأمريكتين وجنوب شرق آسيا ووصل أتباعها إلى ما يقارب مليون شخص معظمهم من الهند وباكستان.

ويعد مؤسس الطائفة المعروفة بالأحمدية صنيعة الاستعمار البريطاني والفرنسي، وتم تجنيده لاستقطاب الباكستانيين والهنود وسكان الأطراف الإيرانية، ومد يده إلى قيادات البهائية، انطلاقا من فلسفة خبيثة وهي أن الشجرة تقوى بفرع منها.

وفي الوقت الذي فشلت فيه القاديانية من تحقيق نجاحات لها بالمنطقة العربية فتحت لها إسرائيل ذراعيها، وأصبح للطائفة بها ثاني اكبر مركز بعد بريطانيا. وفي حيفا يوجد أكبر تجمع للقاديانية في فلسطين.

وفي عام ١٩٣٤ فتحت الطائفة مسجدا في حيفا اسمه مسجد سيدنا محمود، كما أنشأت أيضا استوديو تلفزيونيا وتبث على القمر الأوروبي على قناة (ام تى سى). ويمثل القاديانيون عونا حقيقيا للمخابرات الأمريكية في باكستان وأفغانستان لضرب «طالبان» و«القاعدة» خاصة وان الطائفة تتمتع بثروة ضخمة تقدر بمليارات الدولارات.

التهديدات الإيرانية والنفاق الأمريكي

عبد العزيز صباح الفضيلي – الرأي الكويتية ٢٠١١/٦/١٤

في صيف عام ٩٠ ازدادت التهديدات العراقية للكويت، وبرغم جديتها ووصول التقارير التي تشير إلى أن العراق على وشك غزو الكويت، إلا أننا كنا نسمع التطمينات، ومن أشهرها أنها (سحابة صيف).

وفي فجر ٢/ ٨ اكتشف الشعب الكويتي أن ما كان يوصف بأنه سحابة، كان في حقيقته إعصاراً مدمراً، أطاح الشرعية، واحتل البلاد وشرد العباد، وبقي الكويتيون بين مقهور في بلده، وبين مشرد خارجه لا يدري هل سيكون له نصيب فيرجع إليه مرة أخرى.

هذه المحنة لا أظن أن هناك كويتيا على استعداد أن يعيد تجربتها مرة أخرى، فالمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، أقول هذا ونحن نشاهد سيناريو مشابهاً، والذي تولى كبره فيه جار سوء آخر وهو إيران، فالمؤشرات لا تبشر بخير، فالشبكة التجسسية التي تم اكتشافها، وازدياد العمالة الإيرانية، وخاصة فئة الشباب، التصريحات الخطيرة الصادرة من بعض القيادات الإيرانية، التدخل السافر في شؤون دول مجلس التعاون ومنها الكويت، النظرة التوسعية لتصدير الثورة، الخطة الخمسينية المشهورة، والتي تم افتضاحها وهي الرغبة في احتلال الخليج، وتحقيق مشروع أم القرى، وهي أن تكون (قم) المركز الذي ينبغي أن يحج له المسلمون بدل مكة، تأجير إيران لثلاث جزر من مجموعة جزر دهللك الواقعة في البحر الأحمر من ارتيريا، لتكون مراكز تدريب عسكري، يلتحق فيها بعض أبناء الخليج ممن يوالون الثورة الإيرانية، والآن يتدرب فيها الحوثيون للمشاركة في ثورتهم للانفصال عن اليمن.

كل هذه تدفعنا للتفكير ملياً في الأسلوب الأمثل لمواجهة هذه التهديدات بشكل جدي، البعض يقول لا تزعجوا أنفسكم فالاتفاقيات الأمنية مع الدول الغربية تكفينا وفي مقدمتها أميركا، ونقول لكل مخدوع لا يوجد في السياسة صديق دائم، وإنما مصلحة دائمة من حققها فهو صديقي، أميركا إنما يهمها البترول بالدرجة الأولى ولو احترق الخليج بأهله، ألا ترى كيف أنها سلمت العراق للمرجعيات الشيعية بتكتلاتها وأحزابها، مقابل أن تفوز هي بالبترول العراقي، وقد وقعت اتفاقية مع رئيس الوزراء العراقي السابق الجعفري وأيدها المالكي تحصل أميركا من خلاله على البترول العراقي ولمدة ٤١ عاما بقيمة دولار واحد فقط لبرميل النفط!

بماذا يمكننا أن نفسر خروج الاسطول الأميركي المتواجد بالقرب من الشواطئ البحرينية وانتقاله إلى مضيق هرمز، أيام الثورة البحرينية، والتي كادت أن تسقط فيه الحكومة البحرينية بأيدي الموالين لإيران لولا العناية الإلهية، وحنكت الحكومة السعودية بتدخل قوات درع الجزيرة!

في اعتقادي أن تعزيز روح الترابط بين دول الخليج العربي هو من أقوى الأسلحة في مواجهة المخططات الإيرانية، هذا الترابط الذي يعزز اقتصادياً من خلال التبادل التجاري وتوحيد العملة وإلغاء الجمارك، ويعزز عسكرياً من خلال إعطاء قوات درع الجزيرة أهميتها بزيادة عددها ورفع كفاءتها، وفي ظني أن إنشاء اتحاد كونفيديرالي بين دول الخليج، يمكن من زيادة التنسيق بشتى صوره بين دول مجلس التعاون، بحيث يكون أقوى في صلاحياته وقدراته وفاعلية من مجرد ذلك التجمع الذي لم يلمس من خلاله المواطن الخليجي إلا الشيء اليسير من الإنجازات.

نحن لا نتمنى أن تتصادم دول الخليج العربي مع إيران، ونأمل أن يكون التفاهم السلمي هو الذي يسود المنطقة، ولكن من كانت له كل تلك الأطماع التوسعية، فلا يؤمن جانبه وينبغي الحذر منه، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لست بالخب ولا الخب يخدعني، (وخذوا حذركم).

آية الله أوباما والبحرين... الجهل الاستراتيجي

يوسف البنخليل – الوطن البحرينية – ٢٠١١/٦/٢٧

هـل يفهـم الـرئيس الأمريكـي بـاراك أوبامـا الوضـع في البحرين بشكل كامل ودقيق؟ لا أعتقد أن إدارة الرئيس أوباما تتبع نفس الأسلوب الذي كانت تتبعه الإدارات الأمريكية السابقة المتعاقبة من الاعتماد على التقارير الاستخباراتية، والتقارير الدبلوماسية، إضافةً إلى تقارير مراكز الأبحاث الضخمة والفاعلة في المجتمع الأمريكي. الرئيس الأمريكي خرج علينا أكثر من مرة بمغالطات متكررة من الواضح أن مصدرها واحد وهو وسائل الإعلام الاجتماعي، وتحديداً كل من الفيسبوك وتويتر. ولنتذكر جيداً عندما تبنت إحدى الصحف المحلية خبر هجوم طائرات الهيليكوبتر على المتظاهرين بدوار مجلس التعاون خلال فبراير ومارس الماضيين، ودعمت هذا التوجه مجموعة من القنوات الإيرانية التي تمثل تيار ولاية الفقيه مثل قناة العالم والمنار وغيرها. طبعاً هذه الحملة انتشرت كثيراً عبر وسائل الإعلام الاجتماعي، وصار المواطنون العاديون في نيويورك وواشنطن يتحدثون عنها، وكذلك الحال بالنسبة للمواطنين في لندن وغيرها من بلدان العالم. وفي ضوء انتشار هذه الحملة الواسعة وصلت إلى البيت الأبيض وتأثر بها الرئيس أوباما حتى أصدر تصريحات تستنكر وتدين «هجوم الطائرات العمودية على المتظاهرين السلميين في دوار اللؤلؤ». لا أعتقد أن رئيس دولة بإمكانه تصديق ما ينشر عبر شبكات التواصل الاجتماعي الإلكتروني بهذه السرعة والسهولة. يجري الحديث حالياً عن خلافات واسعة النطاق داخل إدارة الرئيس أوباما، وخصوصاً بين ثلاثة أطراف، تشمل؛ البيت الأبيض، ووزارة الخارجية، ووزارة الدفاع (البنتاغون)، ومصدر هذا الخلاف يقوم على كيفية التعامل مع الأحداث في منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً بعد إعلان الرئيس الأمريكي تنفيذه لوعوده الانتخابية في مثل هذا التوقيت، ونقصد بهما الانسحاب العسكري من الأراضي العراقية، والأراضي الأفغانية. حيث يدور جدل كبير حول مدى تحقيق الأهداف الأمريكية في شرق منطقة الشرق الأوسط، وجدوى حماية المصالح الأمريكية بعد الانسحاب العسكري الذي قارب العقد من الزمن. هل يفهم الرئيس الأمريكي ماذا صنعت يداه الآن بالانسحاب والفوضى الخلاقة التي انتشرت في منطقة الشرق الأوسط، والتي ينوي دعمها معنوياً ومالياً بمليارات الدولارات خلال الفترة المقبلة؟ تحولت منطقة الشرق الأوسط إلى منطقة تعمّها الفوضى، والكراهية بين الشعوب، ليس الشعوب فحسب، وإنما حتى على مستوى الشعب الواحد، كما هو الحال في البحرين بين السُنة والشيعة، وأصبحت المنطقة على أبواب مرحلة جديدة من إعادة تكوين الدول القومية بدلاً من الدول الجغرافية، بحيث يكون المعيار في إعادة تشكيل المنطقة هو ضم السُنة لأشقائهم السُنة، وضم الشيعة لأشقائهم الشيعة دون أي اعتبارات أخرى يمكن مراعاتها سواءً لتوزيع الموارد في المنطقة، أو حتى النظر إلى اتجاهات الرأي العام والشعوب نفسها في هذه المنطقة. كل ذلك يقوده الرئيس أوباما لسبب واحد هو عدم رغبته في أن يرى «آلاماً أكثر في المنطقة تتعطش إلى الديمقراطية والحرية». وبعد هذا كله نعود للسؤال؛ هل مازال الرئيس الأمريكي باراك أوباما يفهم شعوب ودول الخليج ومنطقة الشرق الأوسط؟

من العدو ومن الصديق لإسرائيل؟

جهاد المحيسن – الغد – ٢٠١١/٦/١١

ليس سرا أن دولة الاحتلال تعرف جيدا أن عدوها الأول والأخير هو العرب، أما إيران فكانت منذ قيام دولة إسرائيل صديقا حميما سواء في عهد الشاه أو بعد سقوطه، أما تصريحات

ملالي إيران المتكررة عن احتلال القدس والحرب مع الكيان الصهيوني، فثبت أنها للاستهلاك المحلي. لقد ثبت هذا عندما زودت إسرائيل إيران بقطع الغيار والأسلحة لاستعمالها في الحرب الإيرانية – العراقية، ولقد حاول ملالي طهران إخفاء هذه الفضيحة الكبرى وحاول الخميني نفسه أن يدخل الميدان وكذب الخبر مرات ومرات، إلا أن الفضيحة كانت أكبر من أن تخفى.

إن المخطط المشؤوم الذي نفذته إيران بالتعاون مع إسرائيل يعطي مؤشرات خطيرة هي أبعد بكثير من التعاون الاقتصادي والسياسي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والكيان الصهيوني، إن المتتبع لأحداث المنطقة يعرف بوضوح أن إسرائيل لا تستطيع العيش في المنطقة إلا إذا ضعفت الدول العربية التي تهدد كيانها التوسعي. لقد ثبت لإسرائيل أن إيران العمائم سوق رائجة لها وصديق لا غنى عنه، فالبضائع الاستهلاكية التي تستوردها إيران في عهد الشاه، والتعاون الإيراني في ظل الثورة الإسلامية يتجاوز تعاون الصديق مع صديقه، بل أصبح تعاون الحليف مع حليفه، فمتى كان الشاه يشتري الأسلحة ويستورد قطع الغيار من إسرائيل كما فعلت الثورة الإسلامية في إيران!

العلاقات الإيرانية – الإسرائيلية فيها كثير من الانطباعات والتناقضات، فعلى صعيد التصريحات لا تخلو لغة المسؤولين الإيرانيين منذ الثورة عام ١٩٧٩ من مفردات العدو والعمل على إزالة إسرائيل من الوجود وشعارات تحرير القدس والاحتفاليات بهذا الشأن كثيرة، وكلها لا تخرج عن لغة التعاطف والتأييد اللفظية بينما الواقع على الأرض عكس ذلك، ومنها ما هو مثبت بشكل لا يحتمل التأويل مثل تزويد إسرائيل إيران بقطع غيار الأسلحة أثناء الحرب مع العراق في الثمانينيات من القرن الماضي، والآن وفي هذه الأوقات، وبينما تتشدد أمريكا وتقود تحالفا لحصار إيران اقتصاديا تتسرب تقارير صحافية عن حجم التبادل التجاري بين البلدين.

وفضلا عن التعاون الاقتصادي، فإن إيران تصدر يهودها إلى إسرائيل لدعم الدولة اليهودية في صراعها الديموغرافي مع الفلسطينيين. ونقلت جريدة «الوطن» السعودية عن مصادر إسرائيلية رسمية قولها: إن ٢٠٠ يهودي إيراني هاجروا إلى إسرائيل في عام ٢٠٠٨ مقارنة بـ ٦٥ في ٢٠٠٦، منوهة بأن إجمالي عدد اليهود الإيرانيين الذين هاجروا إلى إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وصل إلى ٧٧٨٣٣ شخصا.

ومع كل هذه التسريبات عن حجم التبادل التجاري الإسرائيلي – الإيراني رغم الحصار المفروض على إيران ومدى الدعم الإيراني لإسرائيل بالسماح ليهودها بالهجرة، يتحدث المسؤولون الإيرانيون بضرورة سحق إسرائيل من الوجود. إن الأمر يدعو للحيرة لمن لا يفهم أساليب السياسة ودهاليزها.

فشل إنقاذ التومان يسرّع «ربيع طهران»؟

الرأي العام الكويتية ٢٠١١/٦/٢٤

يصارع البنك المركزي الإيراني في سبيل ايقاف تراجع سعر صرف التومان بعد أن هبط بنسبة ١٥ في المئة خلال الأسابيع الأخيرة.

واذا لم يتمكن البنك المركزي الإيراني من دعم التومان، فإن سعر صرفه قد يهوي إلى مستوى ٢٠ ألفا في مقابل الدولار الأميركي، وهي قيمته العادلة وفقا لما يراه أستاذ الاقتصاد في جامعة «فيرجينيا تيك» بالولايات المتحدة الاميركية جاويد صالحي، لكن حتى تقديرات البروفيسور صالحي ربما تكون متحفظة. فقد اشارت تقديرات داخلية للبنك المركزي الإيراني أن قيمة العملة الإيرانية الحقيقية قد تكون ٥٠ ألف تومان مقابل

الدولار.

وخلال الشهر الفائت ظهر فارق تفاضلي واضح بين سعر الصرف الرسمي المعلن للتومان وبين سعر الصرف غير الرسمي الذي يتم التداول على أساسه في مكاتب الصرافة. وفي محاولة لتضييق ذلك الفارق التفاضلي، أقدم البنك المركزي الإيراني أخيراً على تخفيض قيمة التومان بنسبة ١١ في المئة، لكن ذلك الاجراء فشل في ايقاف التراجع في سعر الصرف غير الرسمي الذي واصل هبوطه نزولا إلى مستوى ١٢٥٠٠ تومان مقابل الدولار خلال الأسبوع الجاري، وهو ما يقل بنسبة ٦ في المئة عن سعر الصرف الرسمي.

فما السبب الذي يقف وراء فقدان الثقة في التومان الإيراني؟

وفقا لما أوردته وكالة «رويترز» فإن خبراء ومحللين اقتصاديين يرون ان التومان لم يسمح له بأن تنخفض قيمته على نحو يتناسب مع معدلات التضخم، فسعر صرف التومان مازال مستمرا في الارتباط ازاء سعر صرف الدولار الاميركي منذ نحو ١٠ سنوات، على الرغم من أن التضخم يتزايد بنسبة ٢٠ في المئة سنويا.

ولا يثق المستثمرون الإيرانيون عادة بأرقام التضخم التي تعلنها الجهات الرسمية الإيرانية، فهؤلاء يعلمون ان الحكومة الإيرانية تقوم بطباعة المزيد من الاوراق النقدية لتعويض ما تدفعه الحكومة للمواطنين تعويضاً عن تخفيض ميزانية الدعم الحكومي للسلع. وتشير تقديرات «المجلس الإيراني» إلى ان نسبة التضخم قد وصلت إلى ٤٠ في المئة، ويتوقع بعض المحللين الاقتصاديين لتلك النسبة ان ترتفع إلى ٧٠ في المئة قبل نهاية العام الحالي.

وحتى الآن، مازالت إيران قادرة على الدفاع عن التومان وابقائه عند مستواه الحالي من خلال سياسة اغراق مكاتب وشركات الصرافة بالدولارات الاميركية، لكن تلك السياسة لم تعد قابلة للاستمرار نظرا إلى وجود نقص في العملات الاجنبية في إيران. وعلى الرغم من ان إيران لديها نحو ٨٠ مليار دولار من الاحتياطيات النقدية الأجنبية في الخارج، فإن جزءا كبيرا من تلك الاموال قد تم تجميده فعليا في حسابات مصرفية في الخارج بسبب العقوبات المفروضة على طهران.

وكان محافظ البنك المركزي الإيراني محمود بهمني قد أعلن أنه يعتزم استخدام سلسلة من «الأدوات» في سبيل مكافحة التراجع في سعر صرف التومان، من بينها رفع أسعار الفائدة والغاء ضريبة المبيعات المفروضة على الذهب، لكن «الاداة» الرئيسية التي يعتزم بهمني استخدامها تتمثل في الوعد بضخ ٣ مليارات دولار أميركي اسبوعيا في سوق صرف العملات الاجنبية الإيرانية.

لكن هناك من يرى هذا الوعد «فارغاً» لأن البنك المركزي لا يمتلك ما يكفي من الدولارات، والحاصل حاليا أن إيران تحاول العثور على طرق لاستيراد دولارات إلى داخل حدودها، لكنها تواجه صعوبة بالغة في العثور على بنوك لديها الاستعداد لتقديم يد المساعدة.

وفي ظل عدم ثقة رجال الاعمال الإيرانيين بوعود بهمني، فإنهم يواصلون تخزين الدولارات الاميركية. وما يعزز مخاوفهم أن التومان استمر في التراجع بعد إعلان بهمني عن «أدواته» من مستوى ١٢٠٠٠ إلى مستوى ١٢٥٠٠ في مقابل الدولار الاميركي.

وفي حال استمر سعر صرف التومان في تراجعه، فهناك ايضا خطر حقيقي من ان يتفاقم التضخم ويخرج عن السيطرة، وربما يتجاوز نسبة ١٠٠ في المئة بسهولة، وفي ظل وصول معدلات البطالة إلى أكثر من ٣٥ في المئة في مدن إيرانية كثيرة، فانه يتعين على الحكومة الإيرانية بكل تأكيد ان تشعر بالقلق من ان طهران باتت تقترب أكثر فأكثر إلى مواجهة «الربيع العربي» الخاص بها.

السياحة الدينية الإيرانية
استراتيجية اختراق المجتمعات العربية

أسامة شحادة – المصريون ٢٠١١/٦/٢٣

استوقفني الأسبوع الماضي موقف د.عبدالله الأشعل، المرشح لرئاسة مصر، في مقابلته مع د.وسام عبد الوراث على قناة الحكمة يوم ١٥/ ٦/ ٢٠١١ من خطر السياحة الدينية التي تضغط إيران بوسائل متعددة للاتفاق عليها مع مصر بأسرع وقت، ولذلك كان من العروض الإيرانية لدعم الثورة المصرية التي قدمت للوفد الشعبي المصري الذي زار طهران مؤخراً، تشجيع الإيرانيين على السياحة الدينية في مصر.

وهذا الموقف المتساهل من الأطماع والخطط الإيرانية يشترك فيه عدد من المرشحين لمنصب الرئاسة مثل: د.محمد العوا، د.مصطفى الفقي، حمدين صباحي، وقد يكون بعد مصر عن إيران سبباً في ضعف معرفتهم بحقيقة السياسات الإيرانية، فلذلك أحببت أن أشرح للمهتمين جانب من حقيقة السياسات الإيرانية والمتعلق بالسياحة الدينية.

والسياحة الدينية مع مصر مطلب إيراني قديم ومتكرر، فقد أعلن في ١٣/ ١٠/ ٢٠١٠ عن توقيع مذكرة تفاهم بالأحرف الأولى بين رئيس هيئة الطيران المدني المصرية ومساعد رئيس الشركة الوطنية الإيرانية للطيران المدني لإعادة الرحلات الجوية بين القاهرة وطهران بواقع ٢٨ رحلة أسبوعياً!! وحضر مراسم التوقيع وزير الطيران المدني المصري أحمد شفيق ونائب الرئيس الإيراني ورئيس منظمة السياحة حميد باغاي، ولم يتم التنفيذ.

وقبل أن نستعرض تجارب السياحة الدينية الإيرانية وأخطارها على الدول العربية، دعونا نقرأ الخبر الذي بثته وكالة التقريب الإيرانية يوم ١١/ ٦/ ٢٠١١ عن التصورات الإيرانية للسياحة الدينية في مصر، يقول الخبر: قال هشام زعزوع، مساعد وزير السياحة المصري في تصريح له بالقاهرة إن وزارة السياحة المصرية تهدف إلى فتح أسواق جديدة للمقصد السياحي المصري، ولكنه نوه إلى أن ملف السياحة الإيرانية له وضع خاص، قائلا إن الملف موزع بين وزارة الخارجية وأجهزة الأمن، ووفقا للرؤية المشتركة يتم اتخاذ قرار في ذلك الشأن.

من جهته أشار سامي محمود، رئيس قطاع السياحة الدولية بهيئة تنشيط السياحة المصرية، أن الهيئة لديها دراسات حول السوق الإيراني تشير تقديراتها المبدئية إلى أن السوق الإيراني يمكنه مد مصر بنصف مليون سائح في السنة الأولى إلى جانب أن متوسط الليالي للسائح الإيراني يبلغ من ٥-٦ ليالي وبمتوسط ٣٠ مليون ليلة سياحية.

من جانبه قال أبو العزايم إنه تقدم خلال لقاءاته مع الوفد الشعبي المصري بإيران، باقتراح للمسؤولين الإيرانيين لتوجيه أفواج من السائحين الإيرانيين نحو مصر، وأضاف أن الدكتور علي رضا ذاكر، محافظ أصفهان، وعد بتوجيه ٣ ملايين إيراني سنويا لمصر في حالة موافقة الحكومة المصرية على مشروع تعاون في مجال السياحة الدينية.

وتابع أن ١٠ شركات إيرانية أكدت أن الإيرانيين متشوقون لزيارة مراقد آل البيت بمصر، وأنها تستطيع عمل وفود مكونة من ١٠٠ ألف إيراني شهريا. أ.هـ.

ونلاحظ في الخبر الإيراني أن هذا اقتراح مصري من خلال علاء أبو العزايم وهو أحد القيادات الصوفية المعروفة بعلاقاتها الإيرانية على المستوى التجاري والفكري، مما يتوجب معه البحث في خفايا الاقتراح وما يمكن أن يمهد له مستقبلاً من علاقات وصلات، خاصة مع طموح أبو العزائم زعيم الطريقة العزمية الصوفية في السيطرة على المجلس الصوفي الأعلى والحصول على منصب شيخ مشايخ الصوفية، وهو ما يذكّر بتصريحات الشيخ يوسف القرضاوى من قيام إيران بنشر التشيع

في مصر عبر الطرق الصوفية!!

ومن الواضح في الخبر أن الحكومة الإيرانية هي التي تتحكم بعملية السياحة وليست الرغبة الشعبية الفردية، مما يؤكد أن هذه الأفواج التي قد تبلغ ١٠٠ ألف إيراني شهرياً هي أفواج مسيّرة لغايات سياسية وليست لغايات سياحية فحسب!!

وحتى تتضح الصورة دعونا نستعرض بعض النماذج من السياحة الدينية الإيرانية، حتى ندرك شيئاً من حقيقة هذه السياحة وأنها في الحقيقة استراتيجية معتمدة من النظام الإيراني ومؤسساته الشيعية لاختراق المجتمعات والدول العربية.

١ - نموذج رحلات الحج والعمرة:

الجميع يعلم كيف استغلت إيران الحجاج الإيرانيين والشيعة في أعوام ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٩م، لتدس فيهم عناصر الحرس الثوري وأعضاء حزب الله الكويتي وبين أمتعتهم المتفجرات والقنابل.

ثم محاولة الخميني لتحويل الحج إلى مناسبة سياسية لخدمة أجندته الدعائية باسم «مسيرة البراءة من المشركين».

وفيما بعد تخلت إيران عن التفجيرات، وركزت على جعل مخيمات الحج في منى والفنادق في مكة والمدينة التي يقيم بها الإيرانيون بؤراً للالتقاء بالشيعة السعوديين والشيعة من مختلف دول العالم، ويكفي أن تطالع في موسم الحج المواقع الشخصية للمراجع الشيعة والإيرانيين وتتابع لقاءاته في موسم الحج لتعرف حجم النشاط الذي يقوم به من خلال السياحة الدينية!!

كما أن هناك تعليمات وتوجيهات لأعضاء بعثات الحج والعمرة بالقيام بنشاطات لبث التشيع من خلال الاتصال بالحجاج والمعتمرين وتوزيع الكتب والنشرات عليهم وزيارة مخيماتهم، من خلال مقراتهم الخاصة والتي تجهز بما يلزم للقيام بتلك النشاطات، وكان موقع مفكرة الإسلام في موسم حج عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م قد نشر تقريراً مفصلاً عن ذلك بعنوان «مخطط إيراني لاستغلال الحج في الدعوة للتشيع»، بعد حصولها على كتاب بالفارسية من إصدار «إدارة أمور الدعاة» ببعثة الزعامة الإيرانية، وزع على الحجاج الإيرانيين بعنوان «أهداف الحج في هذا العام».

٢ - نموذج السياحة الدينية في سوريا:

لم تعرف دمشق حتى سنة ١٩٨١ إلا حوزتين شيعيتين هما: حوزة السيدة زينب عام ١٩٧٦ وحوزة الامام الخميني عام ١٩٨١، لكن تطور العلاقات الإيرانية السورية سنة ١٩٨٨ وانتقالها لمجالات جديدة جعل إيران تطلب السماح لها برعاية وترميم بعض المقامات في سوريا والسماح بقيام الإيرانيين بزيارات سياحية دينية لسوريا، فتمت الموافقة، وكانت البداية من مقام عمار بن ياسر بمدينة الرقة، فتحول القبر إلى مركز شيعي كبير استولى على المقبرة السنية لسكان المدينة وطردهم وطرد موتاهم !! واستمر المسلسل بالبحث عن أي مقام قد يكون له صلة بالتاريخ الشيعي والاستيلاء عليه، وفي عام ١٩٩٩ شيد مقام للسيدة سكينة في مدينة داريا، ومقام السيدة رقية في حي العمار الجوانية، ومن ثم تم الاستيلاء بالكامل على مقام السيدة زينب بدمشق بعد أن بدأ المشوار بالحوزة الزينبية سنة ١٩٧٦ على يد حسن الشيرازي.

فتحولت منطقة السيدة زينب إلى مستعمرة شيعية أو قم الصغري، وخاصة بعد قدوم العراقيين الشيعة لسوريا في التسعينيات!! فانتشرت فيها الحوزات الشيعية سنة ١٩٩٥ حيث شهدت نشأة خمس حوزات جديدة وجمعيات شيعية ثقافية ومكاتب سياحة دينية وفنادق مخصصة للزوار الشيعة ومطاعم شيعية وأسواق توفر مستلزمات الزوار الشيعة، وأصبحت اللغة الفارسية مسموعة في المنطقة وتظهر على لوحات المحال التجارية!! ونتج عن هذا تشييع قطاعات سورية بسبب الاحتكاك والعمل المشترك والولائم والدعوات والمناسبات التي تستقطب

الفضوليين.

٣- نموذج السياحة الدينية في العراق:

فتحْت غطاء السياحة الدينية للعتبات المقدسة بالنجف وكربلاء تم دخول آلاف العناصر من الحرس الثوري الإيراني للعراق، للقيام بالعديد من الأنشطة العسكرية والسياسية التي مكنت إيران من السيطرة على العراق من تحت أرجل القوات الأمريكية.

وقد شهد بداية عام ٢٠١١ صدور قرار لوزارة الداخلية العراقية بالسماح للشركات الإيرانية العامة في مجال الحماية بمرافقة قوافل السياحة الدينية لتكون غطاءً قانونياً لوجود المسلحين الإيرانيين علناً في العراق!!

٤- نموذج السياحة الدينية في الأردن:

رغم المحاولات الإيرانية المتكررة لفتح الباب أمام السياحة الدينية الشيعية في الأردن، إلا أن السلطات الأردنية لا تزال ترفض ذلك، لعدم توفر هذه السياحة في الأردن، الذي يخلو من مقامات لآل البيت.

لكن حين تواجد آلاف العراقيين الشيعة في الأردن في حقبة التسعينيات، تفتقت العبقرية الشيعية عن محاولة استغلال قبر جعفر بن أبي طالب بمنطقة المزار بمحافظة الكرك لجعله نقطة تجمع لهم، وفعلا أصبح موسم عاشوراء يشهد تجمعاً شيعياً عراقياً ينمو مع الأعوام، وبدأ يكبر ويستقطب بعض الشيعة الأردنيين من أصول لبنانية، وبعض الفضوليين، وبدأ يستوطن بعض الشيعة العراقيين حول المكان!!

وبدأ نوع من التأثير يظهر على سكان المنطقة المحيطة من خلال الاحتكاك مع الشيعة، لكن احتلال العراق بدّل مذهب العراقيين المتواجدين في الأردن، فأصبح غالبية العراقيين بعد الاحتلال من السنة بعد أن كانوا من الشيعة، وخمد موسم عاشوراء في الكرك.

وبعد:

فهذه نماذج من تجارب السياحة الدينية الإيرانية، والتي تتميز بـ:

١- السيطرة الحكومية عليها، لنشر الهيمنة الإيرانية عبر القيام بأنشطة عسكرية أو تجسسية بفضل هذا الغطاء القانوني والضخم (١٠٠ ألف سائح شهرياً) والذي يخفي في طياته الكثير.

٢- القيام بالتبشير الشيعي من خلال الاحتكاك بالناس وتوزيع المنشورات عليهم، ودعم المتشيعين المحليين من خلال تشغيلهم في المرافق اللازمة للسياحة، والتي يحرصون على أن تكون خاصة بهم كالفنادق، والمطاعم والمحال التجارية الأساسية (حلاقة، كي، نقل...).

٣- ايجاد نقطة انطلاق للتوسع منها مستقبلاً، مثل ترميم البُهرة لقبر الحسين زمن جمال عبد الناصر وثم مسجد الحاكم بأمر الله ومن ثم السكن في المسجد والسيطرة على الحي المجاور وهكذا.

وأختم بمقارنة بين حرص الإيرانيين على السياحة في مصر، وبين استقبال إيران للوفد الشعبي المصري مؤخراً، لنعرف حقيقة العقلية الإيرانية السياحية!!

تقول نشوى الحوفي عضوة الوفد الشعبي والصحفية بجريدة المصري اليوم في ٥/ ٦/ ٢٠١١: «وصلنا المطار وطلب مرافقونا من رجال الأمن جوازات السفر لإنهاء إجراءات حجز الغرف، وهو ما تم فى دقائق لكن دون عودة جوازات السفر إلينا. وحين طلبناها قيل لنا إنها ستظل بالفندق لحين انتهاء رحلتنا، وهو ما أثار دهشتنا جميعاً، وتساءلنا: كيف نتنقل فى بلد غريب دون إثباتات هوية، فاصطحبونا لغرفة فى الفندق تم تصويرنا فيها كما يحدث عندما نتوجه لاستخراج الرقم القومي، ثم منحونا بطاقات عليها صورتنا واسم كل منا وطلبوا منا ألا نخرج دونها.

ورغم تعب الرحلة إلا أن فكرة الاحتفاظ بجواز السفر

أثارت داخلي إحساس الدولة المخابراتية، التي يسيطر الإحساس الأمني فيها على كل شيء وكل فرد، حتى لو كنا ضيوفاً ضمن وفد شعبي مصري يزور طهران للمرة الأولى.

لا أخفي سراً أنني عند دخولي غرفتي انتابني إحساس يراودني حين أشاهد مسلسلات الجاسوسية التى دأبنا على مشاهدتها صغارا مثل «رأفت الهجان» و«دموع فى عيون وقحة». وإذا كانوا أخذوا منا جوازات السفر فلماذا لا تكون بالغرف عدسات مراقبة، خاصة أن أفراد الأمن المصاحبين لنا كانت لهم غرف فى نفس الفندق بجوارنا.. يا الله ما أوسع خيال الإنسان ويا لكثرة هواجسه!».

ولا تعليق على التقاليد العريقة للسياحة الإيرانية مع وفد شعبي يزور إيران بهدف تطبيع العلاقات!!

العلاقات الإيرانية – التركية في ظل الثورات العربية

علي حسين باكير – الجزيرة نت ٢٠١١/٦/٢٢

تسعى هذه الورقة إلى مقاربة ما يجري من تحولات جيوبوليتيكية على رقعة الشطرنج الإقليمية إثر الثورات العربية، وانعكاسات ذلك على سياسة كل من اللاعبين الإقليميين الأكثر أهمية في المنطقة العربية أي تركيا وإيران، وعلى مصالحهما ونفوذهما كما على طبيعة وشكل ومستقبل العلاقة بين البلدين في ضوء هذه التحولات، وذلك من خلال النقاط التالية:

*** الثورات العربية من المنظور التركي والإيراني:**

تحمل كل من إيران وتركيا رؤية خاصة للمنطقة تتلاءم مع توجهات السياسة الخارجية لكلا البلدين وبما يخدم الإستراتيجية الكبرى لكل منهما. ومن الطبيعي ضمن هذا السياق ووفق هذه المعطيات أن تنعكس رؤية كل منهما على طبيعة فهمهما لما يجري في العالم العربي، وما يتمنيان ويسعيان إلى أن ينتج عنه.

بالنسبة للرؤية التركية فتوجُّه دول المنطقة نحو الديمقراطية هو أمر حتمي وإن طال، كما أنّ الشعوب ستسعى لتحقيق ذلك عاجلا أم آجلا، وهو ما يعني أنّ على تركيا مساندة المطالب الشعبية الطامحة إلى المزيد من الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان انطلاقا من القيم التي تؤمن بها. أمّا عن كيفية الوصول إلى ذلك، فإن السياسة التركية ترى أنّ الإصلاح الجذري داخل كل نظام لا يزال ممكنا إذا ما كان هناك إرادة حقيقة لذلك، وهي تفضّل أن تستجيب الأنظمة لمطالب الشعب، وإلا فانتقال السلطة بشكل سلمي في حال فشل الإصلاح هو الخيار الأصلح خوفا من حدوث تدخل دولي تتخوف أنقرة منه أصلا ولا يدع لها مجالا للمناورة؛ فتركيا لا تستطيع أن تكون دولة خارجة عن القانون الدولي أو غير متحملة لما يلقيه عليها من التزامات ومسؤوليات.

أمّا على الجانب الإيراني، وباستثناء الحالة السورية، تُعتبر الثورات العربية وفقا لمنظور النظام المتمثل بأعلى سلطة فيه –أي المرشد الأعلى والولي الفقيه علي خامنئي، ومن بعده رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان– امتدادا للثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، وتعبّر هذه الثورات العربية عن صحوة إسلامية تقودها الشعوب المسلمة، وتتمحور حول نفس قيم الثورة الإيرانية المتمثلة بالإطاحة بـ«الطغاة» و«عملاء الغرب»، ومعاداة أميركا وإسرائيل، ومساندة المستضعفين والمظلومين ضد الاستكبار العالمي بما يساهم في قيام شرق أوسط إسلامي. أمّا عن طريقة تحقيق ذلك، فيُفهم من التصريحات الإيرانية أن المحبَّذ أن تتم من خلال الشعوب وخاصة الحركات الإسلامية التي عانت وناضلت، ولا مانع من حصول انقلابات إذا أدت هذا الغرض علما أنّ المادة ٣ من الدستور الإيراني والمادة ١٥٤ تعطي الحق لإيران بـ«الحماية الكاملة لمستضعفي العالم»، و«بدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين

في أية نقطة من العالم».

***الثورات العربية وانعكاساتها على مصالح البلدين:**

حتى فترة ما قبل الأزمة السورية، كانت معظم التحليلات تقول: إنّ الثورات ستؤدي إلى تقوية موقع إيران في المعادلة الإقليمية على اعتبار أنّ موجة الثورات تتجه حصرا لضرب الأنظمة الحليفة للولايات المتّحدة، وأنّ السبب الرئيسي في ذلك هو التقاعس في نصرة القضية الفلسطينية ومواجهة إسرائيل.

ومع تطور الأحداث بدا أنّ هذا التقييم غير صحيح من ناحية التخصيص، وأنّ المسألة لا تتعلق بمعطى خارجي مرتبط بالقضية الفلسطينية أو باستعداء لأميركا أو بالعداوة لإسرائيل؛ فالدوافع داخلية والمطالب الأساسية مرتبطة بالحريات والحقوق الأساسية السياسية والاقتصادية والاجتماعية (دون تجاهل ما هو خارجي فيما بعد).

وسرعان ما أدرك الجميع دقّة هذا التشخيص عندما وصلت الأمور إلى دمشق. ورغم أنّ الجزم باستفادة أحد الطرفين دون الآخر أمر غير ممكن حاليا بانتظار جلاء الأحداث، إلا أنّ ذلك لا يلغي إمكانية تقديم تصوّر لانعكاسات الثورات العربية على مصالح البلدين، ومكاسب وخسائر كل منهما على المدى القصير والمتوسط والبعيد من خلال المعطيات المتوافرة، ويمكن اختصارها فيما يلي:

أ- الخسائر والمكاسب (على المدى القصير)

أولا: سياسيا: تؤدي حالة عدم الاستقرار التي تخلقها الثورات العربية إلى تقويض السياسة الخارجية التركية، والإستراتيجية التركية الداخلية والخارجية القائمة برمتّها على تحقيق الأمن والاستقرار للمحيط الإقليمي وصفر نزاعات. لقد كان من السهل على تركيا أن تطبّق رؤيتها في السياسة الخارجية عندما كانت العناصر التي تعمل عليها ثابتة (الأنظمة المحيطة والإستاتيكو الإقليمي)، أمّا مع تغيّر البيئة الإقليمية وانتشار حالة عدم الاستقرار التي فرضتها الثورات العربية، فمن المنتظر أن يخلق ذلك تحدّيا لمنظومة السياسة الخارجية التركية من حيث الاصطدام بين المثالية والواقعية مع ما يفرضه ذلك بالضرورة من تكيف مع التغير الجديد بإحداث تغييرات مماثلة.

في المقابل، فإن إيران أكثر قدرة على إدارة الوضع الإقليمي في ظل الفوضى المؤقتة الناجمة عن الثورات العربية لما تمتلكه من خبرة ومن أدوات وأذرع إقليمية تخولها الصمود في مثل هذه الظروف التي طالما اعتادت العمل فيها، بل ومحاكاتها في كثير من الأحيان لاستدراج بعض القوى للتفاوض والحصول على تنازلات. وفي مناخ كهذا، قد تستفيد طهران من الفراغ الحاصل في بعض الدول العربية ومن حالة التخبط من أجل الدخول إليها، كما أن من الممكن لها أن تستغل اختلال التوازن الجيوبوليتيكي في مناطق أخرى واستثماره لمصلحتها.

ثانيا: اقتصاديا

تؤدي الثورات العربية على المدى القصير إلى تقويض المشروع الاقتصادي التركي الذي هو أساس الإستراتيجية التركية التي تتمحور حولها كافة السياسات الأخرى، ومن المعروف أنّ حالة عدم الاستقرار هي العدو الأول للاقتصاد والاستثمارات. كانت تركيا قد بَنَت مشروعها الإقليمي على الانفتاح الاقتصادي على دول المنطقة والذي أدى إلى ارتفاع حجم التبادل التجاري بين تركيا والعرب من ٧ مليار دولار عام ٢٠٠٢ إلى قرابة الـ٤٠ مليار دولار عام ٢٠٠٨ مع خطط تركية لرفعه لحدود ١٠٠ مليار دولار خلال سنوات قليلة من خلال استغلال المجالس الإستراتيجية التي أنشأتها أنقرة مع (سوريا والعراق والأردن ولبنان ومجلس التعاون الخليجي)، ورفع التأشيرات مع (لبنان، سوريا، الأردن، العراق، ليبيا، اليمن.. إلخ)، ومن خلال الأسواق الحرة المشتركة وأهمها السوق الحرة المشتركة التي تضم تركيا وسوريا والأردن ولبنان. كل هذه المنجزات عرضة للخطر في ظل حالة عدم الاستقرار التي قد تتطور إلى فوضى.

في المقابل إيرانيا، تؤدي حالة عدم الاستقرار التي تمر بها المنطقة إلى ارتفاع أسعار النفط، ما يعني عمليا أنّ الثورات العربية لا تغذّي فقط خزانة طهران المالية بالدولارات وتحقق لها نموا اقتصاديا، وإنما تساعدها -وهذا هو الأهم بالنسبة لها- على تقويض العقوبات الدولية المشددة المفروضة عليها والتي كان لها وقع شديد مؤخرا، وإفراغ هذه العقوبات من مضمونها؛ ما يحرر إيران من الضغط الاقتصادي، وينسف في نفس الوقت العمل الجماعي الذي قادته أميركا لسنوات مع القوى الدولية لاسيما روسيا والصين والدول الإقليمية لحصارها والضغط عليها.

ثالثا: أمنيا

قد تؤدي حالة عدم الاستقرار التي تخلقها الثورات العربية إلى انتقال حالة التوتر التي قد تنشأ إلى داخل تركيا أو إلى تغذية أعمال العنف خاصة إذا كان البلد على تماس مباشر مع تركيا؛ كحالة سوريا والعراق مع تخوّف من عودة حزب العمّال الكردستاني إلى استنزاف الجيش التركي في حال انفلات الوضع على الحدود، والتداعيات الضخمة على مجمل الوضع التركي في حال حصول تدخل عسكري أجنبي كما حصل في العراق سابقا.

في المقابل، تدافع إيران عن نفسها تقليديا عبر خط دفاع تقيمه خارج حدودها. وفي مثل هذا الوضع لا تواجه طهران مشكلة في حالة عدم الاستقرار الإقليمي، بل من المنتظر أن يؤدي ذلك إلى انشغال القوى الكبرى عن ملفها النووي، وأن يقوي موقفها وهو المطالبة بأن يتم توسيع برنامج التفاوض مع أميركا ليضم مختلف الملفات الإقليمية بما يؤدي للاعتراف بنفوذها ومصالحها الإستراتيجية والحيوية في المنطقة.

كما أنّ صمود الأنظمة في البلدان التي تشهد انتفاضات أمام التدخلات العسكرية الأجنبية كالنظام الليبي يفيد إيران من ناحية جعل خيار التدخل العسكري غير جذّاب مستقبلا لأنه غير مثمر وبشكلٍ ما غير فعّال، وسيؤخذ بالضرورة في الحسبان قبل أن يتم التفكير في اعتماده ضد طهران.

ب- المكاسب والخسائر (على المديين المتوسط والبعيد)

من المنتظر أن تفضي الثورات العربية (إذا لم نذهب إلى سيناريو الفوضى الشاملة) إلى أنظمة تعبّر عن الواقع الشعبي فتكون أكثر صحّة في تمثيل الشعوب، وأكثر ديمقراطية في الحكم، وتحقّق البيئة الأكثر استقرارا على الصعيد الإقليمي. ولا يمكن التقليل من شأن القوة الناعمة التركية التي أثّرت في الشعوب العربية خلال السنوات القليلة الماضية من خلال الانفتاح الاقتصادي والاحتكاك الثقافي والنموذج السياسي وكلها تحمل رسالة مفادها أنه يمكن للشعوب العربية وغالبيتها المسلمة أن تقيم دولا عصرية متطورة ديمقراطية مستقلة تمتلك قرارها، وتتعامل بندية مع الحلفاء والخصوم، وتستطيع أن تقول: لا لإسرائيل أيضا.

ولا شك أنّه أثناء سعي الشعوب العربية لتحقيق هذا التصور فإن التجربة الإقليمية التركية ستبقى حاضرة لما قدّمته من نجاح في تحقيق مفاهيم الديمقراطية وتداول السلطة والإسلام في نموذجها السياسي، الاعتدال الإسلامي في نموذجها الديني، الاستقلالية في القرار في سياستها الخارجية، والتفوق في النموذج الاقتصادي والصناعي، وهي كلها سمات مطلوبة في الأنظمة الجديدة التي تحاول أن تشكّل نموذجا قائما بحد ذاته.

في المقابل، فمن المنتظر أن تعاني إيران على المديين المتوسط والبعيد من خسائر فادحة قد تكون الأكثر كلفة على الإطلاق منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، خاصة إذا ما أدّت الثورات إلى سقوط النظام السوري وهو ما سيتبعه تراجع دراماتيكي للنفوذ الإيراني في المنطقة العربية بدءًا من فلسطين (وهو الأمر الذي أخذ يتحقق)، ومرورا بلبنان والعراق والخليج وانتهاءً بإيران نفسها؛ حيث يترقب العديد من الشرائح المعارضة للنظام الإيراني مصير النظام السوري كمؤشر على وضع النظام

في طهران. وحتى لو نجا النظام الإيراني، فمن المرجح أن يصبح معزولا، وألا يلقى نموذجه الثيوقراطي أية جاذبية تُذكَر خاصة بعدما حصل عام ٢٠٠٩، دون أن يعني ذلك أن ليس لهذا النموذج أنصار داخل البيئة العربية.

***انعكاسات الثورات على العلاقة بين البلدين**

لطالما نجح الطرفان (تركيا وإيران) في كبت خلافاتهما وعدم تصعيدها أو تحويلها إلى مسألة علنية، وقد كان التوازن في قدرات البلدين أحد أهم العوامل -إلى جانب اختلاف دوائر المصالح الجيوبوليتيكية- التي حالت وتحول دون انفجار الخلاف بينهما.

مع التحولات الحالية التي تتعرّض لها المنطقة، من المحتمل أن تؤدي الثورات العربية إلى خلل في هذا التوازن لصالح دولة دون الأخرى إضافة إلى تضارب عميق في المصالح وفي الرؤى وفي المشروع (كأن تنتصر رؤية على أخرى، أو يسود نموذج على حساب آخر، أو أن تستغل إيران الأحداث وتمتلك سلاحا نوويا). وفي هذه الحالة، سيصبح الطرف الثاني أكثر حساسية وضعفا بما يهدد بتطور سلبي للعلاقة بين البلدين. ويتمثل إطار الاحتكاك حاليا في دائرتين إقليميتين إضافة إلى ملفين أساسيين:

أولا: دائرة الخليج العربي

وهي تُعتبر بعد العراق الحيّز الجيوبوليتكي الأكثر أهمية بالنسبة لإيران، وقد تم إدخال تركيا إلى هذا الحيز رسميا من قِبَل مجلس التعاون الخليجي في العام ٢٠٠٨ عبر اتفاقية إستراتيجية سياسية واقتصادية وأمنية هي الأولى من نوعها بين مجلس التعاون مجتمعا وأي دولة في العالم. وعلى الرغم من أنّ الأتراك لا مشكلة لديهم أو حساسية في الموضوع الطائفي السني-الشيعي مما يخوّلهم القدرة على التواصل مع الجميع، إلا أنّ إيران تعلم جيدا أنّ إحدى دوافع الاتفاقية في الخلفية الخليجية تحقيق توازن معها؛ الأمر الذي يزعج طهران جدا.

وحاولت تركيا خلال الأزمة البحرينية، أن تلعب دورا وسطيا لاحتواء الأزمة، وتمثّلت رسالتها الرسمية في ثلاثة عناصر أساسية، هي: ضرورة حفظ أمن واستقرار الخليج، احترام سيادة ووحدة البحرين، وأيضا المضي قدما في الإصلاح. وقد بدا التباين واضحا بين الجانبين الإيراني والتركي في الموقف من إرسال قوات درع الجزيرة للبحرين؛ الأمر الذي اعتبرته الأولى غزوا عسكريا فيما اكتفت الثانية من التحذير من تصاعد التوتر في المنطقة.

وبالتوازي مع مطالبة السلطات البحرينية بضبط النفس خوفا من الوصول إلى كربلاء جديدة كما قال أردوغان، شدّدت تركيا على رفضها لأي تدخل خارجي يمس البحرين ودول مجلس التعاون في إشارة واضحة إلى التدخل الإيراني. وأجبرت السلطات التركية بعد يومين من تصريحات أردوغان طائرة إيرانية مدنية متجهة إلى سوريا على الهبوط لتفتيشها، وتمّ الإعلان فيما بعد عن مصادرة أسلحة وذخائر وعتاد كانت على متنها فيما بدا أنّه رسالة تركية إلى طهران.

كما عمدت أنقرة إلى محاولة احتواء اندلاع أزمة سنيّة-شيعية في المنطقة من خلال تجاوز الإيرانيين للتواصل مباشرة مع المرجع الشيعي في العراق السيد علي السيستاني، وهو أمر لم يرُق كثيرا للمسؤولين في إيران.

ثانيا: دائرة الشام

وهي تضم لبنان وفلسطين. استطاعت تركيا خلال السنوات القليلة الماضية وعبر علاقاتها بسوريا الدخول إلى لبنان. وحاولت أنقرة تقليص النفوذ الإيراني في بيروت من خلال نسجها لعلاقات متوازنة مع مختلف الأطراف، لكن بدا واضحا أنّ هذا الدخول الجديد إلى الساحة اللبنانية غير مرحّب به من طهران لاسيما بعد زيارة أردوغان المعروفة التي تلت زيارة أحمدي نجاد الجدلية. كما ظهر تراجع في قبول أي دور سياسي تركي في لبنان لاسيما بعدما رفض حزب الله بشكل قاطع

الوساطة التي تقدم بها الأتراك مع القطريين بعد الإطاحة بحكومة سعدالدين الحريري.

وبعكس الحالة اللبنانية، هناك صعود للتأثير التركي على الوضع الفلسطيني منذ العدوان الإسرائيلي على غزة، وموقف أردوغان الشهير في دافوس، والاعتداء على أسطول الحرية فيما بعد. كما بدا لافتا وبشكل واضح اقتراب الفرقاء الفلسطينيين الرئيسيين من الرؤية التركية بخصوص المصالحة، وطريقة التعامل مع إسرائيل، وانتزاع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ساعد في بلورته الجهد المصري الحديث، وتطور الأحداث في سوريا، ونأي حماس بنفسها عن التوجه الذي يسلكه حلفاء إيران في المنطقة في هذه المرحلة؛ حيث من المنتظر أن يلقي الملف الفلسطيني قريبا بظلاله على العلاقات بين تركيا وإيران في المرحلة المقبلة نظرا للتناقض الجذري في الرؤى بينهما.

ثالثا: التحدي السوري

تمثل الحالة السورية تحديّا بالغ الأهمية والخطورة لكل من تركيا وإيران ليس لأنها تعتبر حلقة رابطة لكل الدوائر الجيوبوليتيكية للطرفين، وليس لأنها عنصر تقاطع بين المشروعين التركي والإيراني فقط، بل لأن الطريقة التي ستنتهي بها الأمور في سوريا ستؤثر بشكل دراماتيكي على مسار أحد الطرفين في المنطقة بالضد من الآخر.

من جانبها ترى تركيا أنّ مطالب الشعب في مزيد من الحريات والديمقراطية، ورفع كافة القيود المتعلقة بالحقوق السياسية والإنسانية هي مطالب مشروعة، وأنّ الصداقة مع النظام السوري لا يمكن أن تكون على حساب الشعب السوري، خاصّة في حال رفض تطبيق إصلاحات سريعة وجذرية. وترى تركيا أيضا أنّ التغيير يجب أن يتم داخليا وبسرعة تفاديا لتدخل خارجي لا يمكن لأنقرة أن تقف في وجهه في حال تجاهل النظام السوري التحذيرات الموجهة إليه، وفوت الفرصة تلو الأخرى لمساعدته على تجاوز الأزمة من خلال تحقيق المطالب الشعبية.

في المقابل، ترى إيران أنّ هناك مؤامرة تحيكها القوى الغربية للنظام السوري، وأنّ ما يحدث هو فتنة على طريقة الفتنة الإيرانية ٢٠٠٩، وأنّ المتظاهرين يعملون لحساب الخارج، ويتلقون الأوامر منه للإطاحة بالنظام الممانع والمقاوم للخطط الإسرائيلية والأميركية في المنطقة، وهو ما يوجب على الشعب الحفاظ عليه وعدم الاشتراك بالمؤامرة للإطاحة به، وتثق طهران بأن النظام قادر على تجاوز المشكلة وإنهاء الفتنة.

وفق هذا التقييم المتناقض، فإن الأزمة السورية تعد محطة مفصلية لكل من تركيا وإيران:

فإذا نجا النظام السوري فستكون تركيا في مأزق كبير لجهة العلاقة الثنائية أولا، ولجهة تراجع عدد من المبادرات الإستراتيجية السياسية والاقتصادية الإقليمية التي تعتمد حصرا على وجود نظام صديق في دمشق ثانيا.

أما إذا سقط النظام السوري فسيسقط معه أهم وأكثر التحالفات الإستراتيجية ثباتا في الشرق الأوسط خلال العقود الثلاثة الماضية، وهو ما يعني حصول زلزال جيوبوليتيكي ينهي النفوذ الإيراني في بعض المناطق، ويقلّصه إلى أدنى حد ممكن في مناطق أخرى، سيمتد من فلسطين إلى العراق وقد يطول إيران نفسها.

وبين الحالة الأولى والحالة الثانية، قد تشهد العلاقات التركية-الإيرانية توترا شديدا على خلفية هذا التباين وربما تصادما في المرحلة المقبلة خاصّة أنّ هناك اتفاقية دفاع مشترك بين إيران وسوريا، ومن غير المتوقع أن تترك طهران حليفها الإستراتيجي يسقط بسهولة وإن تطلّب ذلك اشتباكا مع أنقرة، علما بأنّ فتورا خفيا في العلاقات بين البلدين بدأ يظهر على خلفية مهاجمة بعض وسائل الإعلام الإيرانية التابعة للمرشد الأعلى وللرئيس الإيراني (لاسيما وكالة فارس للأنباء وبرس. تي)، والأخرى العربية المحسوبة عليها والحليفة لها (لاسيما

تلفزيون المنار التابع لحزب الله في لبنان) للموقف التركي من سوريا، واتهام أنقرة بـ«النفاق، وتنفيذ سياسات أميركا والكيان الصهيوني لزعزعة الأوضاع في سوريا»، و«التخطيط لفتنة ونقل أسلحة وأموال ودعم عصابات مسلحة وإرهابيين ضد نظام الأسد تحضيرا لغزو عسكري تمليه أطماعها».

كما نقل موقع المنار تهديدات عسكرية إيرانية لتركيا؛ حيث قال: إنّ مبعوثا خاصا للرئيس أحمدي نجاد حملها لرئيس الوزراء رجب طيب أردوغان ومفادها «أنّ استعمال أية قواعد عسكرية تركية للهجوم على سوريا سيعرّضها لقصف صاروخي إيراني».

وقد علّق كبير مستشاري الرئاسة التركية إرشاد هورموزلو على كل ذلك قائلا: إنّ تركيا لا تسعى إلى مواجهة مع أحد، وليس لها أجندات خفية؛ فهي لا تسعى إلى التخندق أو الدخول في محاور، ولا تسعى إلى منافسة أي دور في المنطقة، ولكنها لن تكون راضية بطبيعة الحال إذا حاول أحدهم تحريك بعض الأحجار على رقعة الشطرنج الإقليمية بما يخل بالمعادلة.

رابعا: الفرصة المصرية

وفي ظل المرحلة الانتقالية، تنخرط كل من تركيا وإيران في سباق محموم مع الزمن للتأثير في التحولات الحاصلة حاليا على رقعة الشطرنج الإقليمية، ويستخدم كل منهما أدواته وإمكانياته بما يتناسب مع رؤيته لما يراه مناسبا لمرحلة ما بعد الثورات، وتبدو الحالة المصرية مثالا على ذلك.

فتركيا تأمل أن يسود نموذجها القائم على: الديمقراطية، العقلانية السياسية، الاعتدال الإسلامي، التعددية الحزبية، حكم القانون، السياسة الخارجية الوطنية والمستقلة غير المتعارضة مع علاقات مع مختلف القوى الدولية سواء الغربية أو القوى الأخرى في الدول التي تغير أنظمتها. ويرتكز الخطاب التركي في هذا المجال على ثلاث آليات: الخطاب المعتدل، المساعدة بشرح تجربتها وكل ما يتطلبه تنفيذها، الاعتماد على رصيدها من القوة الناعمة.

أمّا إيران، فتأمل أنّ يسود نموذج إسلامي يكون متأثرا بها أو على الأقل يتيح لها التأثير فيه أو الدخول عليه للتكامل معه، كما تأمل في أن تبني الدول الجديدة سياستها الخارجية على العداء مع أميركا، وأنّ يتم التصعيد العسكري ضد إسرائيل وفق الرؤية الإيرانية كمعيار لمدى الصداقة التي يمكن أن تجمع طهران مع الأنظمة حديثة الولادة. ويرتكز الخطاب الإيراني في هذا المجال على ثلاث آليات: النزعة الأيديولوجية، والتجربة الذاتية، وإنجازات الأذرع الإقليمية في مواجهة أميركا وإسرائيل، والتوجه الإسلامي لبعض الشرائح الاجتماعية كالإخوان.

وبقدر ما تشكّل الأزمة السورية تحديا لمتانة العلاقة بين تركيا وإيران بقدر ما تمثّل مصر فرصة لكل منهما في تحقيق رؤيته الإقليمية:

فقد بدا واضحا منذ اللحظة الأولى لسقوط مبارك انخراط كل منهما في سباق للتأثير على النظام الوليد سواء من خلال زيارة الرئيس التركي عبدالله غول والتقائه مسؤولين حكوميين إضافة إلى قيادات للإخوان وللشباب المصري عارضا للتجربة التركية وكل ما يمكن لأنقرة أن تساعد مصر الجديدة من خلاله على استعادة عافيتها، أو من خلال تفاعل العموم المصري مع القيادات «الشعبوية» التركية.

في المقابل، ظهرت مساعٍ إيرانية حثيثة لاستعادة العلاقات مع مصر لما لتلك الخطوة من أهمية قصوى في هذا التوقيت خصوصا في المعادلة الإقليمية. كما استضافت إيران وفدا مصريا يضم رجال دين وأكاديميين ورجال أعمال وصحفيين، وألقت على مسامعه التجربة الإيرانية في مقاومة الغطرسة والاستكبار ونصرة المستضعفين، وكيف أنّ الثورة الإيرانية كانت مصدر إلهام للشعب المصري.

في هذا السباق التركي-الإيراني في مصر، يبدو التركي أكثر تقدما على الأقل من الناحية الشكلية، وقد بدا هذا التأثير

الايجابي واضحا أثناء الانتفاضة المصرية من خلال الطريقة التي استقبل بها المنتفضون في ميدان التحرير من مختلف التوجهات والانتماءات كلمة رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان التي تضمنت نصيحة للقيادة المصرية، مقارنة بالرد العنيف الذي قاموا به على كلمة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامئني على سبيل المثال في خطبته الشهيرة أو على كلمة أمين عام حزب الله اللبناني حسن نصر الله التي وجهها إلى الثوّار. كما بدا أنّ هناك شكلا من أشكال التأثر بالتوجه التركي من خلال الخطاب العقلاني والمعتدل -إلى الآن- للتيارات الإسلامية بشكل عام (الإصلاح والنهضة، حزب الحرية والعدالة، حزب الوسط الجديد، السعي لدولة مدنية وليست دينية...إلخ).

لكن ذلك لا يعني أنّ إيران عاجزة عن التأثير في المعطيات المصرية. فكما لتركيا فإن لإيران ونموذجها أنصارا ومؤيدين، بل إنّ دخولها الساحة المصرية أصبح أكثر سهولة بعد سقوط مبارك سواء أيديولوجيا عبر «العداء لإسرائيل وأميركا»، أو ماليا. وإذا كانت تركيا تراهن على تجربة حزبية ديمقراطية ناضجة للمصريين، فإن إيران تراهن على بعض الشرائح إسلامية التوجه، كما تراهن على بعض الأسماء المرشحة للرئاسة المصرية لاستعادة زخم العلاقات معها والدخول من خلال ذلك إلى معادلة جديدة في المنطقة.

٣٥ سعوديا من قائمة الملاحقين في إيران

تركي السهيل - الشرق الأوسط ٢٠١١/٦/٣

تكشف القائمة الإرهابية التي أعلنت وزارة الداخلية السعودية عنها في فبراير (شباط) ٢٠٠٩، عن وجود ٣٥ من أصل ٨٥ ملاحقا على القائمة، في إيران، أو أنهم مروا عليها. وتفيد المعلومات بأن آخر الملتحقين بـ«القاعدة» في إيران كان في شهر سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٨، وهو ما يعني أن علميات الاستقطاب لم تتوقف، وأن «القاعدة» في إيران لا تزال تدير العمليات.

يقول مصدر إقليمي لـ«الشرق الأوسط»: «نحن متأكدون من وجود بعض نشطاء (القاعدة) وقيادييها في إيران، لكننا لا نعلم كيف تتم المعاملة بين الجانبين، لكن الأكيد أن أتباع (القاعدة) الموجودين في إيران مسيطر عليهم».

وطبقا للمصدر، الذي فضل عدم ذكر اسمه، فإن تصريحات إيمان ابنة أسامة بن لادن، التي فرت من مرافقيها، واحتمت بالسفارة السعودية في طهران، أكبر دليل على وجود أتباع لزعيم تنظيم القاعدة على الأراضي الإيرانية.

ويشرح مصدر إقليمي قصة اتخاذ «القاعدة» لإيران مركزا لعملياتها، حيث يشير إلى أن بداية شهر العسل بين الجانبين كانت مع الحرب على أفغانستان، والتي ولدت ٣ وجهات لأعضاء التنظيم المتركزين على الأراضي الأفغانية، فمنهم من غادروا إلى تورا بورا، ومنهم من تسللوا لباكستان، ومنهم من دخلوا إلى إيران.

ويقول المصدر «من المؤكد أن إيران تعاملت مع أعضاء وقيادات التنظيم الذين لجأوا إليها هربا من الآلة العسكرية الأميركية التي ضربت أفغانستان»، ويلفت المصدر إلى أن الإيرانيين عمدوا في ما يبدو إلى السيطرة على أعضاء تنظيم القاعدة الذين دخلوا إلى إيران، لكنهم لم يضايقوهم في مسألة تأدية الأدوار التي كانوا يقومون بها.

ويطرح المصدر تساؤلات عدة قد تساعد في فهم حقيقة العلاقة بين «القاعدة» وإيران، فيقول «هل لجأت إيران لاستضافة (القاعدة) لمهادنتها حتى لا تكون هدفا مستقبليا لها؟.. أو أنها استغلت (القاعدة) لتحقيق أهدافها في بعض الدول التي تختلف معهم سياسيا ومذهبيا؟»، مفيدا بأن هذين التساؤلين لا يزالان مطروحين على الساحة حول العلاقة بين «القاعدة»

وإيران.

وأعطى المصدر الإقليمي تلميحات تدفع باتجاه أن تكون «القاعدة» في اليمن، والتي يشكل السعوديون واليمنيون الحصة الأكبر فيها، تم التخطيط لها وتشكيلها بأمر قادة «القاعدة» في إيران. وكانت المعلومات التي حصلت عليها «الشرق الأوسط» من مصادر خاصة، أفادت بأن عناصر «القاعدة» الموجودين في إيران والمدرجين على قائمة الـ٨٥ السعودية، يخططون لضرب مصالح سعودية أو أردنية، كما أن بعضهم يعتزم العودة إلى الداخل لتنفيذ العملية بنفسه، فيما يعتزم البعض الآخر الانضمام إلى مجموعة المقاتلين الجدد الموجودين على الأراضي اليمنية.

ولعل أبرز السعوديين الملتحقين بـ«القاعدة» في إيران، صالح القرعاوي، الذي يقترب من عامه الثلاثين، حيث يتولى منصبا قياديا في تنظيم القاعدة في الداخل والخارج، وهو من أهم مقدمي التسهيلات والدعم المالي والتزوير وتنسيق سفر عناصر ومطلوبين من التنظيم للخارج، وله علاقة بأبو مصعب الزرقاوي من خلال دعمه بالمال وإرسال ما يحتاجه من الأشخاص.

ويبرز اسم صالح القرعاوي، والمكنى بـ«نجم»، كواحد من أهم الأسماء التي تدير عمليات تنظيم القاعدة من الأراضي الإيرانية، وتزوج خلال وجوده في إيران بابنة محمد خليل الحكايمة أحد القادة الميدانيين لـ«القاعدة».

وتلقى صالح القرعاوي، الذي يستخدم ١٤ اسما حركيا في تنقلاته، تدريبات مكثفة في إيران، على استخدام الإلكترونيات في عمليات التفجير، وجعل من الأراضي الإيرانية مركزا لعملياته، وقام بدور الوسيط بين قيادات التنظيم وأعضائه، إضافة إلى سعيه نحو جهود التنظيم في العراق ولبنان.

وعلى الصعيد المحلي، ساعد القرعاوي، الموجود في إيران منذ سبتمبر ٢٠٠٦، في نقل أحد الذين هربوا من سجن الملز، ومطلوبين آخرين إلى منطقة الجوف (شمال السعودية)، في إطار عملية تهريبهم للعراق، فيما نشط على صعيد العمل الخارجي بالترتيب لوصول متطرفين إلى لبنان لتدريبهم هناك، ومن ثم إرسالهم إلى السعودية لتنفيذ عمليات إرهابية.

ويتضح أن الغالبية العظمى من قائمة الـ٨٥ الموجودين في إيران، في العقد الثالث من أعمارهم، إذ إن ولاداتهم كانت في بحر الثمانينات الميلادية.

وسلك السعوديون الذين انضموا تحت لواء «القاعدة» المتمركزة في إيران، دولا مختلفة، للوصول إلى هناك، بينها البحرين، والإمارات، وقطر، إضافة إلى سوريا. وترتبط بعض الأسماء التي تبحث عنها السعودية وتوجد في المثلث الباكستاني الأفغاني الإيراني، أمثال المطلوب عادل فليح العنزي، بمنسقي سفر وأشخاص خطرين في إيران.

وتشير المعلومات إلى أن المطلوب عبد الله العايد والموجود في إيران، يعتقد تورطه في عملية اغتيال ضابط أمني سعودي كبير، حيث قدم إلى إيران عبر الإمارات بواسطة وثائق مزورة، وهو نشط في إصدار الفتاوى التحريضية على التكفير والذهاب للخارج للمشاركة في القتال هناك والتجنيد وتقديم الدعم المالي لعناصر التنظيم.

ويبرز اسم محمد أبو الخير، الذي يستخدم ١١ اسما حركيا في تنقلاته في مناطق التوتر والصراع، وهو من بين أبرز الذين تبحث السعودية عنهم، ويعتبر أحد الحراس الشخصيين لأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، وصهره في الوقت نفسه، كما تفيد المعلومات بأنه يرتبط بعلاقة مع رمزي بن الشيبة، أحد المتهمين في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وعمل أبو الخير، الذي يستخدم ألقابا وكنى كـ«أبو محجن، أبو عبد الله، عبد الحميد، مهند، الجداوي، عبد الله المكي، عبد اللطيف، لطفي، لطف، مهند الجداوي، عبد الله

الحلبي»، كحلقة وصل في منتصف التسعينات وعام ٢٠٠٠ ما بين أفغانستان وإيران، ويعتقد أنه يوجد في المثلث الباكستاني الأفغاني الإيراني.

ولبعض الأسماء الموجودة في قائمة الـ٨٥ ارتباط مباشر بأسامة بن لادن، أمثال طليحان المطيري، الذي سبق أن بايع زعيم «القاعدة»، وتدرب بعد ذلك على الأسلحة والمدافع ونصب الكمائن والاقتحام والانسحاب وحرب المدن وزراعة الألغام ورسم الخرائط واستخدام البوصلة والاتصالات واستخدام الدبابات، بغرض تدريب كوادر التنظيم.

ومن بين السعوديين الموجودين في إيران، أحمد الشدوي، ويكنى أبو حنظلة المكي، حيث سافر إلى الإمارات العربية المتحدة في ٢٤ فبراير (شباط) ٢٠٠٨، وهو متهم بارتباطه بمنسقين إيرانيين هما أبو مريم ونصر الله اللذان نسقا سفره إلى أفغانستان عبر إيران عن طريق التهريب للانضمام لصفوف تنظيم القاعدة هناك وانضمامه لأحد المعسكرات في منطقة هلمند وتدربه على السلاح وتأييده للعمليات الانتحارية.

ويعتبر عادل الجعفري أحد أحدث المنضمين لـ«القاعدة» في إيران، والتي وصلها من قطر، بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠٠٨، وهو على ارتباط بمنسقي سفر وأشخاص خطرين وانتحاريين في إيران.

أما عزام الصبحي، وهو أحد السعوديين الموجودين في إيران، فتفيد المعلومات المتوافرة عنه بوجود علاقة تربطه بسيف العدل (محمد إبراهيم مكاوي) الرجل الأول في «القاعدة» بإيران، كما تربطه علاقة بالقائد السابق لتنظيم القاعدة في السعودية عبد العزيز المقرن. وعمل المطلوب علي العمر، الذي يستخدم ٧ أسماء حركية، ويعتقد وجوده بإيران، كمراسل ومندوب لتنظيم القاعدة في إيران، ويعتبر من المطلوبين الخطرين، وكان قد ادعى رغبته في تنفيذ عملية انتحارية إلا أنه استُبقي لاستخدامه للاتصال بين عناصر التنظيم.

حين تسأل «الوفاق» من أنتم؟

سوسن الشاعر - الوطن البحرينية - ٢٠١١/٦/٢٧

مأزق الوفاق ليس سياسيًا بل ثقافيًا؛ فمشكلة الوفاق في ما هو محشو في عقل قياداتها قبل جماهيرها من معطيات تخالف الواقع، وبناء على تلك المعطيات فإن كل ما تحلم به وتخطط له يوّلد كوابيس تعود بتبعاتها على جماهيرها. إذ حتى الأحلام تتزود من مخزونك الفكري؛ من أفكار وصور ومحصلات لغوية مخزنة بعقلك الواعي أو الباطن، فإن كان مخزونك غير واقعي، فماذا تنتظر من أحلامك؟ لذلك لا يعجب أحد حين يسمع الوفاق تسأل «من هم هؤلاء الذين وجهت لهم دعوات الحوار؟»، فما ذلك إلا لأنها تنطلق من معطيات مخزونها الواعي وغير الواعي -الخط الفاصل عند الوفاق غير واضح- فقد حصرت الشعب البحريني في جماعتها والمعارضة في جمعيتها، معطيات غير واقعية احتكرت العلامات التجارية للشعب البحريني بجماهير الوفاق، واحتكرت المعارضة بمواقفها؛ لهذا هي تسأل من هؤلاء؟.

الوفاق تذكرني بنكتة سمعتها مؤخراً؛ تونسي يشتكي لمواطن ليبي يقول له هل سمعت بن علي رئيسنا لمدة تزيد على ٢٣ سنة ظهر علينا في آخر خطاب له يقول لنا «الآن فهمتكو»، رد عليه الليبي إحمد ربك نحن ترأسنا «معمر» ٤٠ سنة وظهر ليسألنا في خطابه الأخير «من أنتم»؟! ولأن الوفاق إلى الآن لم تستوعب أن هناك جموعاً بحرينية غفيرة ظهرت في الفاتح، وأن الحوار سيشارك فيه بحرينيون لا يتبعون الفقيه، فتسأل من هؤلاء؟

باعتراف الوفاق وقد سمعته من أكثر من نائب برلماني أنهم -حين شاركوا في العمل النيابي في الفصل التشريعي الثاني- اكتشفوا أن العديد من الصور كانت مشوهة عن هذا الآخر (منبر أو أصالة أو مستقلين أو وزراء أو أفراد أو أسر). في السنوات الأربع الأخيرة، وهي المرة الأولى والوحيدة التي يجلسون فيها على طاولة واحدة ويشتركون فيها مع آخرين في عمل سياسي كما حدث في لجان التحقيق، أو يشاركون فيها أعضاء من السلطة التنفيذية اكتشفوا أن الصورة لم تكن متطابقة تمامًا مع الصورة المخزنة في الذاكرة، إذ أقروا أن العمل كان منسجمًا ومهنيًا في كثير من الأحيان مع هذا الآخر المجهول بالنسبة لهم. الشاهد؛ أن تلك التجربة الاندماجية كانت الوحيدة اليتيمة وعمرها الزمني كان قصيراً، ولم تتح لها فرصة كي تتأصل، إذ سرعان ما عادت الوفاق لعزلتها من جديد في بداية الفصل التشريعي الثالث وفرضت على نفسها الطوق بعد أن أوغلت في الابتعاد عن هذا الآخر أثناء أحداث فبراير، بل وأجبرها ثلاثي الائتلاف الجمهوري على العودة مرة أخرى لداخلها المغلق، فعادت وكلنا نعرف أن نصف أعضاء الوفاق -على الأقل- مرغم ومجبور وساكت! مشكلة هذا الانغلاق وتلك العزلة أنها بنيت على تلك المعطيات غير الواقعية، والتي لا تقتصر على إلغاء كل الشعب البحريني فحسب بل على اقتطاع البحرين من سياقها الجغرافي والتاريخي، لهذا صُدمت جماهير الوفاق من وجود الفاتح، ولهذا صدمت من دخول درع الجزيرة رغم أن البحرين ودول الخليج كل لا يتجزأ حتى قبل قيام مجلس التعاون وقبل اتفاقيات التعاون العسكري، ولهذا صُدمت الآن من الدعوات التي وجهت لبحرينيين للمشاركة في الحوار، وستظل جماهير الوفاق تخرج من صدمة وتدخل إلى أخرى حتى تعود للواقع على الأرض

أو تبقى معزولة إلى الأبد تسبح في فضائها، وهذا يعني انتحار سياسي لقيادتها مع سبق الإصرار. مأزق الوفاق هو شارعها هو أبناؤها الذين تأخرت في مساعدتهم على كسر الطوق وتغيير صور المخزون الثقافي لديه، مأزقها أنها لم تنقل لهم زخم التجربة القصيرة، لم تكاشفهم بما تعرفت عليه، ودون ذلك التغيير لن تتمكن جماهير الوفاق من التعايش مع بقية شعب البحرين، ولن تتمكن من الاندماج مع واقعها المحلي والإقليمي وهذه أكثر مأساوية. قيادات الوفاق خاصة تلك التي خاضت التجربة لم تكن صادقة مع جماهيرها، خشيت من اتهامها بالانسلاخ والطيران خارج السرب، وأجزم أن ذلك الوعي الجديد المكتسب من الخبرة العملية البسيطة كان كافيًا لكسر الطوق لو قدر له أن ينتشر بين الناس، لو امتلكت القيادات جرأة المبادرة بمواجهة المأزق الثقافي وتغييره أو بالأحرى إعادة ترتيب أوراقه وإدماجه بالواقع البحريني، إنما تلك المعطيات الجديدة كانت أكثر ما يخيف أصحاب الائتلاف الجمهوري فهي تقضي على مشروعه مشروع دولة ولاية الفقيه، لذلك سارعوا بإغلاق الباب من جديد على الكتلة النيابية قبل أن تستفيق فلم ينتظروا اكتمال دورة انعقاد أخرى تعزز من هذا الاندماج، لذلك سارعوا في إعلان الانقلاب. وعادت الوفاق من جديد الآن لعزلتها غير الواقعية؛ العزلة ليست طوقاً أمنيًا على مداخل ومخارج القرى الآن، فالوفاق تخطئ من جديد إن اعتقدت أن العزلة الأشد هي العزلة الأمنية؛ بل الأشد هي تلك العزلة الاجتماعية مع المجتمع البحريني، تلك هي الأخطر والأشد وقعًا. العزلة عن العمق الخليجي هي الأخرى ذات أبعاد مأساوية على الشيعة (تابع صعوبة عبورهم جسر الملك فهد) العزلة الاجتماعية انسحبت لا على الطائفة الشيعية التي جرتها قسراً معها في مغامرتها بل حتى على

أعضاء الجمعيات السبع الأخرى ومنهم سُنة، وأكثر من عاني منها عائلات أعضاء جمعية وعد الذين عزلوا في المحرق بشكل مؤلم لم يشهدوه في حياتهم.

فما هي مكاسب تلك المغامرة؟ بعض التعديلات الدستورية بمساعدة مسؤولين أمريكيين ومنظمات حقوقية ووسائل إعلام؟ ربما.. إنما انظر ماذا خسرت بالمقابل. لأول مرة في تاريخ البحرين تحدث مقاطعة تجارية مبنية على أسس طائفية، لأول مرة تُشكّل لجان شعبية أمنية للأحياء السكنية على أسس طائفية (وقت الأزمة)، تلك مؤشرات فقط وغيرها كثير لو شئتم المصارحة، هذه مؤشرات تدلل على عمق الجرح الذي أوغرته الوفاق وحجم الطوق الذي نسجته حول نفسها حتى ضاق بها الوطن. وكلما علّقت الأسباب على أي شماعة ضحكت على نفسها -كما تتهم الإعلام الآن- أنكم إنما تزيدون من عزلتكم أكثر وتحكمون الطوق أكثر، فالإعلام سيجد له متنفساً، الأمر خرج من يد الدولة إنه الآن بيد الشعب البحريني، إذ قد تتمكن من إسكات الإعلام الرسمي إنما هل تستطيع إسكات الناس والنفوس المتنافرة؟. المسألة تحتاج أكثر من تعليق الأسباب على غيركم، المسألة تحتاج لجرأة غير معهودة منكم في الالتفاف للداخل إنما من أجل المصارحة والمكاشفة -وهذه حقيقة- استبعدها عنكم. فالوفاق لم تجرؤ يومًا على مكاشفة جماهيرها وقت الرخاء السياسي - وهذه كانت غلطتها- فهل تستطيع أن تجازف الآن والأجواء موتورة؟، الأمر يحتاج لأكثر من جرأة، الأمر يحتاج لإيثار يصل إلى حد المهمة الانتحارية. قيادات الوفاق الآن خاضعة للإرهاب الجماهيري، وجماهيرها موتورة لأنها مصدومة بالواقع الذي يتكشف لها يومًا بعد يوم، مصدومة بحجم العزلة الاجتماعية محليًا وإقليميًا، قيادات الوفاق الآن ترس في اللعبة وليست متحكمة فيها، هي الآن على مقعد القيادة ويدها على المقود لكنها خاضعة لاندفاع الماكينة التلقائي. حزب الله في الخارج يجلدها بسياط الالتزام بالحلم وبالمخطط وبالمشروع الانفصالي، وجماهيرها تجلدها بسياط الوفاء (لضحايا) المغامرة. وعودة على بداية المقال سنرى أن مأزقها الثقافي هو الذي قادها إلى مأزقها السياسي، مخزون ثقافي صُدم بعدم واقعية معطياته حين نزل إلى الأرض، اليوم تنساق قيادات الوفاق كما الشاة على مذبح ذلك المخزون المشوه الذي تعرف هي أكثر من غيرها حجم تشوهاته، لذلك لا يتحدث باسمها الآن إلا من يملك قدرة أكثر من غيره على الأداء المسرحي.

إلى من يقارنون البحرين بسوريا

طارق الحميد – الشرق الأوسط – ٢٠١١/٦/١٣

هناك محاولات مستميتة، من دول ووسائل إعلام، لمقارنة البحرين بسوريا، والهدف الضغط على البحرين، وفك الخناق عن نظام الأسد. وأبسط مثال هو التعامل مع الحفل الخطابي لجمعية الوفاق الشيعية في البحرين، حيث تم تصويره على أنه «عودة للتظاهر» بينما عقد الحفل بإذن من الحكومة البحرينية. فتجمع الوفاق يعد بحد ذاته ردا على من يقارنون البحرين بسوريا، وقد يقول البعض: كيف؟ فالمعروف أن العفو عند المقدرة، وليس عند الضعف، وعندما يعفو ملك البحرين من موضع قوة، يكون لذلك قيمة ومصداقية، خصوصا وقد رفع قانون السلامة الوطنية قبل موعده بشهر، وكرر الدعوة للحوار، وها هو يسمح لـ«الوفاق» بالتجمع. بينما نجد أن نظام الأسد يعلن العفو وهو مستمر في القتل والاعتقالات، ويقول إنه رفع

قانون الطوارئ بينما دباباته تجوب الشوارع السورية!

وها هم السوريون الأبرياء يثبتون أن ثورتهم ليست طائفية، بل إن النظام هو من يكرس الطائفية، بينما يخرج علينا الرئيس الإيراني قائلا إن لديه خطة لحل مشكلة البحرين، وهو الذي لم يستطع حل مشكلاته، وليته يمنع الإيرانيين من مساعدة نظام الأسد، فالإيرانيون متورطون في سوريا، وليسوا كقوات درع الجزيرة حيث دخلت البحرين على اعتبار كونها جزءا من المنظومة الخليجية، ولحماية المؤسسات، وعلنا، ولم تنزل القوات لشوارع البحرين، أو تشارك، مثل الإيرانيين، في سوريا.

الإشكالية أننا أمام عملية تزوير ضخمة، من إيران، وبعض وسائل الإعلام، ففي البحرين ابتلي الإعلام الغربي بـ«الناشطين» الشيعة، مثلما ابتلي الإعلام العربي بـ«محللي» النظام السوري. ولذا أدعو المهتمين بالشأن البحريني لقراءة كتاب مهم جدا، ويستحق الترجمة للإنجليزية، وهو «الحركات الدينية في الخليج العربي» لباقر سلمان النجار، بحريني شيعي علماني، (الطبعة الأولى ٢٠٠٧)، حيث يكشف حقيقة الجمعيات الشيعية في البحرين، وفي الكتاب نجد أن المطالبة بالجمهورية الإسلامية ليست وليدة اليوم، أو لحظة انفعال، ولكنها تتويج لمشروع منذ سنوات.

كما يشير النجار لأمر مهم، وهو أن «الوفاق»، مثلا، لديها قناعة بأن التغيير في الخليج لا يتم إلا عبر الضغط الخارجي، وذلك أعقاب، أو قل استغلالا لأحداث ١١ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١ الإرهابية في أمريكا، حيث لاحظ النجار أن الضغط الغربي يزداد فقط على دولتين خليجيتين وهما السعودية والبحرين، ويقول (ص ٨٢): «وهذا ما يفسر اتجاه كوكبة من رموز جمعية الوفاق وقادتها، وبعض القوى السياسية الشيعية في البحرين والمملكة العربية السعودية، نحو توظيف علاقتها مع الشخصيات السياسية البريطانية، ومع منظمات المجتمع المدني البريطاني بغية ممارسة الضغط على السلطات المحلية لإحداث إصلاح سياسي على نحو سريع أو استخدام منابر هذه الدول لفتح الملفات الداخلية الساخنة كالتعديلات الدستورية وما يسمى التجنيس السياسي على الرأي العام البريطاني والأوروبي». وربما يفسر هذا لماذا تم إلغاء سباق الفورميولا من البحرين مؤخرا!

وعليه، فبينما نرى السوريين لا يستعينون بدعم خارجي بحثا عن حقوقهم، كما أنهم ليسوا طائفيين مثل النظام الذي يكرس الطائفية، ويرددون: «لا إيران ولا نصر الله.. بدنا ناس تخاف الله»، تتم المناداة في البحرين بالجمهورية الإسلامية، فهل اتضح الفارق الآن؟

المعارضة الحضارية والمثالية التي مارسها حزب الله...؟؟

حسان القطب - بيروت اوبزرفر ٢٠١١/٦/٢٤

يقود حزب الله حملة واسعة على قوى المعارضة الجديدة، ودفاعاً في الوقت عينه عن حكومته التي يرأسها نجيب ميقاتي، ولهذا فإن حزب الله يوجه انتقادات شديدة اللهجة للطريقة التي تبرز فيها المعارضة الجديدة مواقفها وخطابها السياسي، دون أن يلتفت إلى الخطاب التحريضي الذي يطلقه ميشال عون بحق الطائفة السنية ورموزها في لبنان، وما قد يؤدي إليه هذا الكلام من تحريض لأبناء هذه الطائفة على التحول من الاعتدال للتطرف لمواجهة ما يخطط له حزب الله والفريق السوري في لبنان، بناءً على الكلام الذي ورد على لسان ميشال

عون..؟.

من هنا كان خطاب نواف الموسوي خطيب ومفكر حزب الله الذي قال فيه: (على هذه الحكومة أن لا تتراجع عن تخليص لبنان من الفتن المذهبية ورئيس الحكومة الذي نحيي شجاعته مسؤول بالدرجة الأولى، وقادر على أن يخلص البلد من الفتنة).. هذا الكلام معناه أن كافة الأحزاب والقوى اللبنانية هي أحزاب طائفية مذهبية، باستثناء حزب الله..؟؟ ورأى وزير الزراعة حسين الحاج حسن: (أن «أمام الحكومة الحالية صعوبات ومسؤوليات جساماً، لأنها ورثت من الحكومات السابقة لفريق ١٤ آذار عبئاً ثقيلاً»)... طبعاً هذا الكلام يوحي أن لا علاقة لحزب الله وحركة أمل وميشال عون ووليد جنبلاط بالحكومات السابقة.. بالرغم من مشاركتهم جميعاً في كافة الحكومات وموافقتهم على كافة القرارات التي اتخذت بالتوافق بين كافة مكونات تلك الحكومات.. وبالتالي يكون هذا الكلام غير صحيح بل منافي للحقيقة التي يعرفها جميع المواطنين اللبنانيين.... أما الشيخ نبيل قاووق فقال: (الواجب الوطني يفرض على الحكومة أن لا تنجر إلى استنزاف ومنزلقات داخلية وعليها أن تتفرغ لخدمة الناس ومعالجة الأزمات ومواجهة التحديات، والرد على محاولات فريق ١٤ آذار لإبعاد الحكومة عن الإنجازات هو في العمل لتحقيق الإنجازات لكل الوطن).. هذا التصريح الذي ظاهره البراءة في دعوته للعمل لخدمة الشأن العام ومصالح الناس، يذكرنا بكيفية تعطيل عمل كافة الحكومات التي تلت الانسحاب السوري من لبنان..؟ ورأى عضو كتلة «الوفاء للمقاومة» النائب علي فياض أن (انفجار الوضع الأمني في طرابلس بعيد تشكيل الحكومة مباشرة هو بمثابة لغم جرى تفجيره في وجه الحكومة الجديدة ويهدف إلى إرباكها وعرقلة انطلاقتها وهذا ما مهد إليه البعض من خلال خطاب سياسي طائفي ولغة تحريضية متوترة ومداخلات ميدانية لم تكن خافية على أحد، وذلك مؤشر صارخ على أن البعض يريد أن يواجه الحكومة بكل الوسائل ومهما يكن الثمن).. وهنا يتهم نائب حزب الله والمنظر السياسي للحزب، المعارضة الجديدة بالتمهيد لما جرى من إشكال امني في طرابلس.. **من هنا نرى انه ربما على قوى المعارضة الجديدة في لبنان** أن تتبع أسلوب حزب الله الحضاري والسلمي والديمقراطي في المعارضة، والذي اتبعه على امتداد السنوات الست لماضية أي منذ خروج جيش احتلال النظام السوري من لبنان، حتى تكون هذه المعارضة على مستوى المسؤولية في مواجهة فريق من هذا النوع وبهذا التفكير وبهذه القدرة على تغيب الحقائق وتجاهل الوقائع وتضييع وتجهيل الذاكرة، وهذا الكلام قد ينفع الرئيس نجيب ميقاتي الذي اتهم المعارضة بالتفجير، وكذلك الوزير محمد الصفدي الذي انقلب على مدينته وناخبيه.

- خدمةً للنظام السوري وتعطيلاً لمصالح اللبنانيين التي يتحدث عنها بشغف حزب الله اليوم.. في العاشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، عام ٢٠٠٥، (قال وزراء التحالف الشيعي بقيادة حزب الله وحركة أمل المؤيدين لسوريا أنهم انسحبوا من جلسة للحكومة اللبنانية احتجاجا على مناقشة خطاب بشار الأسد الذي شن فيه هجوما لاذعا على رئيس الوزراء فؤاد السنيورة). فقد كانت حماية الرئيس السوري ونظامه أهم من خدمة مصالح اللبنانيين.؟؟؟

- في ١١/ ١١/ ٢٠٠٦، أعلن عن استقالة (وزراء

حزب الله وحركة أمل من الحكومة اللبنانية بعد فشل جلسة التشاور التي كانت قد عقدت. واصدر الحزبان الشيعيان بيانا أعلنا فيه انسحاب الوزراء الخمسة. وتأتي هذه الخطوة في اليوم الثاني لتسلم الحكومة اللبنانية لمسودة قرار إنشاء المحكمة الدولية لمحاكمة المشتبه بهم بقتل رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري، كما كان من المتوقع أن توافق الحكومة في جلسة استثنائية على هذه المسودة).

- يوم الجمعة ١ كانون الأول/ ديسمبر من عام ٢٠٠٦،(واصل أنصار القوى اللبنانية المعارضة الاعتصام وسط العاصمة بيروت وعلى رأسها أنصار حزب الله بهدف إجبار الحكومة على الاستقالة وفتح الباب أمام تشكيل حكومة وحدة وطنية، ونصب المعتصمون خياما على طريقين يؤديان إلى السراي الحكومي مقر رئاسة الحكومة، من جهة أخرى، وأجمعت مصادر غربية رفيعة المستوى على القول: إن المعارضة اللبنانية أرادت بإضرابها عشية مؤتمر «باريس -٣»، توجيه رسالة إلى الأسرة الدولية، مفادها أن حكومة «السنيورة» ضعيفة يمكن إسقاطها في أية لحظة. خصوصًا أن المعارضة أخذت المطار رهينة، وفرضت حصارًا مماثلاً للحصار «الإسرائيلي» في الصيف الماضي». وأشارت إلى أن الجيش اللبناني أبدى حذرًا مبالغًا في بعض الأحيان، إذ تدخل فقط للفصل بين الأطراف، ولم يمنع المتظاهرين من إغلاق الطرق المؤدية إلى المطار فيما كان ينبغي أن يفتحها. ورأت أن قائد الجيش العماد ميشال سليمان، «اعتمد حذرًا مبالغًا فيه قد يبرره أنه يريد البقاء على علاقة جيدة مع كل الأطراف، في إطار أمنيته الوصول إلى الرئاسة).

- في ٢٥/ ١/ ٢٠٠٧، شهد محيط الجامعة العربية أحداثا خطيرة حيث:(أعلنت مصادر أمنية لبنانية، أن عدد الموقوفين في الاشتباكات التي وقعت أمس الأول داخل حرم جامعة بيروت العربية بلغ ٢٠).

- في ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٧، (رأى النائب السابق محمد عبد الحميد بيضون « أن اكبر عملية اغتيال تعرضت لها الأكثرية هي في إغلاق المجلس النيابي وتعطيله ومنع هذه الأكثرية من ممارسة دورها وواجبها، واليوم تمثل محاولات بعض الأطراف بتعطيل انتخابات الرئاسة أو تأجيلها بذريعة النصاب وغيره، مرحلة جديدة من مراحل اغتيال الدولة وليس اغتيال الأكثرية فحسب).

- بيروت في ٢٧ من يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٠٨: (قال حزب الله أن تحقيقا جديا في مقتل سبعة من الشبان الشيعة الشهر الماضي هو أمر أساسي للحفاظ على الجيش اللبناني الذي يُنظر إليه كضامن للسلم الأهلي في بلد يُعاني انقسامات عميقة. وتم اعتقال ثلاثة ضباط وثمانية جنود على خلفية إطلاق النار الذي حصل، والذي بدأ إثر تحرك الجيش لتفريق احتجاج على انقطاع الكهرباء). هكذا نعزز الثقة بالجيش ودوره..؟؟؟

- في السابع من أيار/ مايو عام ٢٠٠٨، وقعت أحداث مدينة بيروت حيث اجتاح حزب الله وحركة أمل والقومي السوري، شوارع مدينة بيروت ومناطق واسعة من الجبل بهدف احتلالها وتعطيل الحياة فيها..وسقط خلالها مئات القتلى والجرحى..ولم يتحرك الجيش..؟؟؟ هذا هو دور الجيش الذي يريده حزب الله؟؟؟؟

- قُتل الضابط الطيار الشهيد سامر حنا، بعد تعرض طوافته العسكرية لإطلاق نار في محلة (تلة وزلان في سجد) في ٢٨ آب/ أغسطس من العام ٢٠٠٨ فأصيب في رأسه برصاصة قاتلة فوق الأراضي اللبنانية واعتقل قاتله مصطفى المقدم احد عناصر حزب الله الذي اعترف بقتل

الشهيد حنا عن غير قصد معتقدا بأن الطوافة إسرائيلية، مع العلم أن العلم اللبناني موجود على مقدمة ومؤخرة الطوافة... وبعد أقل من ١٠ أشهر من استشهاد الطيار سامر حنا، أطلقت المحكمة العسكرية أمس المتهم بالتسبب باستشهاد الضابط بكفالة مالية مقدارها عشرة ملايين ليرة. وأثار هذا الأمر ردود فعل منتقدة)...هكذا تكون المقاومة إلى جانب الجيش والشعب..؟؟؟ المثلث الذهبي..!!

- في ٢٥/٨/٢٠١٠: (وقع إشكال قرب جامع الأحباش في محلة برج أبي حيدر بين عناصر من حزب الله وآخرين من جمعية «المشاريع الخيرية الإسلامية» المعروفة بالأحباش تطور إلى إطلاق للنار، ما أدى إلى مقتل كل من المسؤول الأمني لحزب الله في بيروت محمد فواز ومرافقه علي محمد جواد، إضافة إلى سقوط عدد من الجرحى من الطرفين. وأفاد مصدر أمني أن «الاشتباك استخدمت فيه الأسلحة الرشاشة وقذائف أر بي جي». وأوضح عنصر من حركة أمل موجود في موقع الاشتباك رافضا الكشف عن هويته لفرانس برس، أن «عناصر من الحركة تدخلت إلى جانب حزب الله، ولا تزال الاشتباكات مستمرة»). هكذا يحافظ حزب الله على السلم الأهلي..؟؟؟

- في ٢٢/٤/٢٠١١، البناء غير الشرعي ينفجر في وجه الدولة «رفع غطاء» متأخر والحملة الأمنية متواصلة، (فقد رسمت موجة الهجمات المتعاقبة التي تعرضت لها القوى الأمنية والعسكرية في حملتها لإزالة التعديات على الأملاك العامة والتي تفاقمت على نحو لافت أمس في مدينة صور والضاحية الجنوبية، معالم بالغة الخطورة على المستويين الأمني والسياسي بدليل الاستنفار المتعدد الجانب الذي أثارته. وإذا كانت الشراسة التي واجهت بها مجموعات «أهلية» القوى الأمنية شكلت صدمة فعلية وعكست خطورة حال العصيان على القانون التي تسود المناطق التي تتكرر فيها هذه الهجمات. فإن الأسوأ من ذلك برز في معلومات توافرت لـ«النهار» من مصادر معنية مفادها أن ظهورا مسلحا كثيفا رصد في محلة المساكن الشعبية شرق مدينة صور تزامن مع قمع دوريات من قوى الأمن الداخلي بمؤازرة قوة من الجيش مخالفات بناء على أملاك عامة. ومع تجمهر أعداد من الأهالي واعتراضهم القوى الأمنية وتطور الأمر إلى اعتداءات على هذه القوى، أطلق الرصاص من الجهة الخلفية في اتجاه القوة الأمنية التي رد أفرادها بإطلاق النار ترهيبا في الهواء، ثم تطور الأمر إلى قطع طرق وإحراق سيارات تابعة لقوى الأمن الداخلي. وسرعان ما انتقلت المواجهة إلى منطقة الاوزاعي في الضاحية الجنوبية حيث تعرضت قوة أمنية أخرى لهجمات حادة من مجموعات أهلية بينها نساء وأطفال وتكرر مشهد قطع الطرق والاعتداء على رجال الأمن). الحفاظ على الأملاك العامة والمال العام تكون بالاستيلاء على الأراضي من قبل فريق معين وعدم محاسبته حفاظاً على السلم الأهلي والعيش المشترك..؟؟؟؟

هذا غيض من فيض ممارسات فريق حزب الله وحركة أمل على الساحة اللبنانية ولو رغبنا في تعداد المزيد لكان لنا ما نريد، ولكننا أوردنا هذه الأحداث وبإيجاز فقط لتذكير المواطن اللبناني أن هذا الفريق الذي يتحدث عن غياب الدولة ومشروعها، لم يكن يوماً إلى جانبها، ولم يساهم يوماً في بناء صرحها، بل على العكس من ذلك تماماً فهو كان في مواجهتها دوماً، وفي حالة صدام مع أجهزتها وفي تجاهل كامل لقوانينها ومؤسساتها

ودورها.. واليوم يطل علينا من يتباكى على هذه الدولة وحضورها ويعدنا ببناء دولة عصرية تتحمل مسؤوليتها بأمانة وإخلاص، وهو كان معول هدم في جسمها، وسيف مسلط على رقاب اللبنانيين في أحداث ومناسبات عدة.. إن هذا الفريق لا يعرف لغة الحوار والنقاش والتواصل مع الفريق الآخر، بل يريده خانعاً مستسلماً، لذا يمكن القول أن هذه المعارضة بالشكل والمضمون الذي قرأناه أعلاه هي المعارضة الحقيقية والمثالية والحضارية التي يعترف بها حزب الله وفريقه، لأنها الوحيدة التي يتقنها إلى جانب حركة أمل وفريقهما، بل هي التي يفهمها، ويعرف كيف يمارسها، أما إدارة الدولة وشؤون الناس فلن تكون يوماً من شان هذا الفريق أو من أولوياته.. وهذا التاريخ الحافل بالأحداث والمآسي والارتكابات، يجعل هذا الفريق غير قادر على استيعاب أو تقبل أي وجهة نظر معارضة أو معترضة على سياساته أو ممارساته لأنه فوق القانون، هكذا كان في الماضي، وهكذا سوف يكون في المستقبل، وللأسف فقد اختار ميقاتي والصفدي وجنبلاط التحالف مع هذا الفريق للإجهاز على ما تبقى من مكونات هذه الدولة..؟؟

الكويت تضبط شبكة تجسس مكونة من ٥ سوريين وعنصرين من (حزب الله)

الكويت – الوطن العربي ٢٠١١/٦/٢٨

كشفت مصادر أمنية كويتية، أن خلية التخريب والتجسس التي ضبطتها وزارة الداخلية الكويتية قبل عدة أيام تضم عنصرين من (حزب الله) اللبناني، والخمسة الآخرين سوريين، وفق ما نقلت صحيفة (الآن) الإلكترونية الكويتية الثلاثاء.

يأتي ذلك بعد أن ذكرت تقارير صحفية في وقت سابق أن الأجهزة الأمنية ألقت القبض على خلية تخريب وتجسس دون الكشف عن هويات أعضاء مكتفية بالإشارة إلى أنها تتبع استخبارات دولة عربية تشهد حاليًا موجة من الاضطرابات والاحتجاجات إضافة إلى عناصر تتبع أحد الأحزاب المسلحة في دولة عربية آخر.

وقالت المصادر لصحيفة (الجريدة) الكويتية في موقعها الإلكتروني الثلاثاء إن (الأشخاص الذين اعتقلوا اعترفوا بأنهم على صلة بالاستخبارات والحزب، وإنهم حاليا مكلفون بجمع المعلومات عما يجري في الكويت تحديدا، وإنهم أرسلوا تقريرا يتضمن منع وزارة الداخلية الكويتية لرعايا بلدهم من دخول البلاد، وتصنيفهم ضمن الدول الخمس الممنوعة من دخول الكويت، كما تضمن التقرير أيضًا موقف مجلس الأمة من الأحداث في بلدهم، وتأييده للثوار ومطالبة بعض أعضائه بطرد السفير).

واعترف أعضاء المجموعة بأنهم صوروا أماكن حيوية في البلاد، وكذلك صوروا المظاهرة الأخيرة التي نظمت ضد النظام الحاكم في بلدهم بالصوت والصورة، بحسب المصادر. كما اعترف أفراد المجموعة أيضا بأن هناك مجاميع أخرى تعمل على نفس الخط، لكنهم لا يعرفونها، وأنهم يسلمون هذه التقارير إلى ضابط ارتباط في سفارة بلدهم، أو يتم إرسالها عبر (الإنترنت) إلى موقع مخصص لجهاز الاستخبارات.

وأفاد التقرير أن الموقوف ورئيس المجموعة (أ. م) اعترف كذلك بأنه كان يجري رحلات مكوكية بين الكويت وبلده ودولة عربية أخرى بهدف التنسيق وإيصال المعلومات وتلقي التعليمات الجديدة.

وبحسب ما أوردت الصحيفة الكويتية نقلاً عن

المصادر ذاتها، فإن الأجهزة الأمنية الكويتية تلقت تقريرا استخباراتيا من إحدى الدول الخليجية، يفيد بوجود مثل هذه العناصر التخريبية في البلاد.

وأفادت المصادر أن التقرير تحدث أيضًا عن أن هذه العناصر تعمل حاليا على جمع المعلومات في أكثر من دولة خليجية، وترصد تحركات أبناء ذلك البلد العربي في دول الخليج، وموقفهم من النظام، وترسل تقارير شبه يومية عن كل ما يكتب في الصحف ورأي الشارع الخليجي في ما يجري في تلك الدولة.

وأضافت أن التقرير حذر أيضا من أن تلك العناصر صورت أماكن حساسة في بلدان خليجية، وحددت مواقع تجمعات بشرية، كما صورت أكثر من منشأة حيوية، وزودت أيضا الاستخبارات العسكرية في بلادها بأسماء مقيمين ومواطنين خليجيين ينشطون ضد النظام ويدعون إلى مناصرة الشعب.

وقضت محكمة كويتية في مارس بإعدام إيرانيين اثنين وكويتي ثالث بتهمة التجسس على منشآت حيوية لصالح إيران. وفي أبريل أعلن وزير الخارجية الكويتي الشيخ محمد السالم الصباح الأربعاء، أن بلاده طردت دبلوماسيين إيرانيين متهمين بالتجسس.

واعتقلت الكويت في السابق شيعة للاشتباه في ضلوعهم في مؤامرات في الثمانينات لزعزعة استقرار البلاد من بينها محاولة لاغتيال حاكم الكويت وخطف طائرة كويتية للمطالبة بالإفراج عن سجناء شيعة.

وقامت في عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ بترحيل حوالي ٢٧ ألفا من الأجانب معظمهم إيرانيون وعززت الأمن بعدما أطلقت طهران صواريخ على منشآتها النفطية وهاجمت ناقلات نفط كويتية.

كيف واجهت حماس الأزمة في سوريا

ياسر الزعاترة – الدستور ٢٠١١/٦/٤

وجدت حركة المقاومة الإسلامية حماس نفسها حيال أزمة حقيقية إثر اندلاع الاحتجاجات الشعبية في سوريا، لاسيما أن معظم قيادتها الرئيسة في الخارج كانت تقيم منذ سنوات في دمشق، حيث وجدت قدرا من الاحتضان والدعم لا ينكره سوى جاحد، وهو دعم لم يكن حكرا على النظام، إذ أن الشعب السوري كان حضنا دافئا للحركة أيضا، حيث منحها دعما لا يقل عن أي شعب عربي آخر.

لم يكن لدى أي مراقب على صلة بعوالم السياسة أي وهم حول البعد السياسي لذلك الدعم الذي تلقته الحركة، ومثلها حركة الجهاد وسائر قوى المقاومة، وليس ثمة عاقل كان يتصور أن بوسع النظام احتضان حركة تنتمي للجماعة الأكثر صداما معه طوال تاريخه «الإخوان» لولا الشعور بجدوى ذلك من الناحية السياسية.

حماس والجهاد -كما هو حال حزب الله - كانتا بالنسبة للنظام السوري جزءًا من الأمن القومي، وهما تحققان مصلحته بمواجهة من يريدون تحجيم حضوره ودوره، من دون أن نتجاهل أن مقاربة النظام حول كلفة الاستسلام الأغلى من كلفة الصمود والممانعة كانت صائبة إلى حد كبير، وهي التي أخرجته من مأزق كان يمكن أن تشطبه بالكامل، كما هو حال محطة الاحتلال الأمريكي للعراق.

الأكيد أن حماس كانت تتمنى لو أن النظام السوري استوعب رياح التغيير في المنطقة وبادر إلى إصلاحات تحقق

الحد المعقول من مطالب الشعب السوري في الحرية والديمقراطية، لكن النظام لم يفعل اعتقادا منه بأن وضعه الداخلي مريح إلى حد كبير، فكانت الثورة الشعبية التي فاجأته، وربما فاجأت الجميع بجرأتها وإصرارها على الانتصار.

بعد الثورة الشعبية وجدت حماس نفسها أمام سؤال الموقف، وهنا لم تجد أفضل من الحياد. حدث ذلك باعتقادنا تجسيدا لمبدأ عدم التدخل في شؤون الدول العربية من جهة، كما كان جزءًا من الوفاء للشعب السوري الذي احتضنها، والذي يصعب على عاقل القول إنه اليوم على توافق مع نظامه في الملف الداخلي، لاسيما بعد أن سال الدم غزيرا في شوارع المدن والقرى السورية.

من جانب آخر - وفي حساب الأرباح والخسائر، فضلا عن المبدأ الذي تنحاز إليه الحركة- فإن أي انحياز إلى جانب النظام إنما يعني خسارة فادحة للجماهير العربية والإسلامية التي لم تتردد في دعم مطالب الشعب السوري في الإصلاح والتغيير، ثم ازداد انحيازها له بعد البطش الذي واجه به النظام جموع المحتجين، فضلا عن استباحة المدن والأحياء.

من هنا كان موقف الحركة الحيادي مقدّرا من قبل السوريين، وإلم يكن كذلك بالنسبة للنظام، أو بعض أركانه في أقل تقدير. صحيح أن ردة فعل معاكسة واضحة لم تسفر عن نفسها حتى الآن، ربما لأن الممانعة والمقاومة هي البضاعة التي يدافع بها النظام عن نفسه بين الجمهور السوري والجمهور العربي، لكن ذلك لا يعني أن الأمور ستبقى على ما كانت عليه، وإن تأثر الموقف بتطورات الحراك الشعبي.

خيارات الحركة غير دمشق تبدو محدودة، ومن العبث - بالطبع- القول إن غزة هي الخيار المفضل كما ذهب البعض، ليس لأنها مكشوفة تماما أمام العدو بالنسبة لأي قائد سياسي يوضع على قائمة الاستهداف، ولا أيضا لأنها تجعل الحركة أسيرة الموقف المصري (أيا تكن تقلباته)، بل أيضا بسبب انقطاع صلتها المباشرة بالضفة الغربية وما تبقى من فلسطين، فضلا عن حقيقة أن مصير القطاع لم يُحسم بعد في ظل انتخابات جديدة قادمة يمكن أن يفوز فيها مناهضو برنامج المقاومة، وأصحاب مشروع «الحياة مفاوضات» والسلاح الواحد كما كرر ذلك محمود عباس أثناء كلمته في احتفال المصالحة، لاسيما أن الاستهداف الذي تتعرض له الحركة في الضفة سيتصاعد أكثر فأكثر بمرور الوقت، وقد تابعنا خلال الأسبوعين الأخيرين حملة الاعتقالات التي طالت النواب (استهداف السلطة لم يتوقف أيضا)، ما يؤكد عبثية فكرة المصالحة القائمة على ذات برنامج السلطة التقليدي وفكرة الانتخابات ذات المآل البائس سواء فازت حماس أم فتح وحلفاؤها.

قطر، وإن كانت خيارا بالنسبة لقلة من رموز الحركة، إلا أنها سترفض على الأرجح استضافة الكثير منهم، وكذلك حال الأردن المقيد بشروط وادي عربة ومعادلاته السياسية الأخرى، كما أن الخيارات الأخرى جميعا تنطوي على قيود ومشاكل لا تجعلها أقرب إلى الحالة السورية، ربما باستثناء لبنان إذا سمحت تناقضاته بذلك، وفي مقدمتها موقف حزب الله، لكن ذلك كله لا ينفي أن المرحلة المقبلة هي مرحلة المقاومة والآفاق الأفضل في ظل نجاح الثورة في تونس ومصر وإمكانية نجاحها في دول عديدة أخرى.

هي لحظة صعبة من دون شك، لكنها طبيعية ومتوقعة في تاريخ الحركات الثورية والعقائدية، فكيف إذا كانت جزءًا من مخاض يبشر بمرحلة أفضل بكثير عنوانها الإجماع الشعبي الفلسطيني المدعوم من جماهير الأمة على برنامج شطب الاحتلال بكل وسيلة ممكنة، وفي مقدمتها انتفاضة الداخل والزحف الجماعي (الشتات الفلسطيني والجمهور العربي) من الخارج؟!